@Tafsircenter

يونس ميرزا
Younus Y. Mirza

"رسالةٌ فريدة": كيف أسهم متأخرو محققي العرب في إخراج رسالة ابن تيمية "مقدمة في أصول التفسير" ونشرها

ترجمة
مصطفى هندي

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

نبذة تعريفية بيونس ميرزا YOUNUS Y. MIRZA:

يونس ميرزا، حاصل على الدكتوراه من جامعة جورج تاون في الدراسات العربية والإسلامية.

وعمل كأستاذ مساعد وأستاذ للدراسات العربية والإسلامية في عدد من الجامعات؛ مثل: جورج تاون، وكلية ألغني بجامعة بنسلفانيا.

يتركّز اهتمامه الأساسي في دراسة العلاقة بين القرآن والكتاب المقدّس، وكذلك دراسة التفاسير الإسلامية وصِلَتها بالكتاب المقدّس.

من ضمن كتبه التي صدرت في هذا السياق:

The Bible and the Qur'an: Biblical Figures in the Islamic Tradition, 2018

الكتاب المقدّس والقرآن، الشخصيات الكتابية في التقليد الإسلامي.

مقدمة[1]:

يهتمّ بعضُ الدّارسين الغربيّين المعاصرين باستكشاف تاريخ الكتب المهمّة والمؤثّرة في تاريخ التفسير، حيث يحاولون بيان أسباب مركزيةِ كتبٍ بعينها، وتحليل كيفية نشأة هذه المركزية وتطوّرها، كما يحاولون استكشاف كيفية بناء أهمية بعض الكتب في السياق الحديث.

ولعلّ مقدّمة ابن تيمية هي مثال أساس لهذه المحاولات، حيث يرى بعض الدارِسين الغربيين أنها لم تكن متنًا درسيًّا في التراث ولم تعرف شُهرة في أروقته التعليمية، وإنما وقعت الحفاوة بها في السياق المعاصر، ومن ثمّ فإنهم يحاولون استكشاف أسباب هذا الاهتمام الكبير الحاصل لهذه المقدّمة على الصعيد العربي[2] والغربي المعاصر.

---

(١) قام بكتابة المقدمة، وكذلك التعليقات داخل نصّ الترجمة، مسؤولو قسم الترجمات بموقع تفسير، وقد ميّزنا حواشينا عن حواشي المؤلِّف، بأن نصصنا بعدها بـ(قسم الترجمات)، كما ميّزنا حواشي المترجم بأن نصصنا بعدها بـ(المترجم).

(٢) بيّنَت دراسة (أصول التفسير في المؤلَّفات) الأثر الكبير لمقدّمة ابن تيمية في تآليف أصول التفسير في الدرس العربي، لا سيما في رواج اصطلاح أصول التفسير وتداوله، وكذلك في تشكيل موضوعات أصول التفسير. يراجع: أصول التفسير في المؤلَّفات؛ دراسة وصفية موازنة بين المؤلَّفات المسماة بأصول التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م.

وينخرط يونس ميرزا في هذا السياق، فيبيِّن أنّ الشهرة الحالية والكبيرة لمقدّمة ابن تيمية لم تكن حاصلة في السياق التراثي، وعليه يحاول بيان كيفية هذا الصعود لمقدّمة ابن تيمية وأسبابه، فيتتبّع هذه المقدّمة في سياق مسارد مصنّفات ابن تيمية، ثم يتتبّع تاريخ مقدّمة ابن تيمية، فيدرس كيفية تلقّي علماء التراث في القرون اللاحقة لكتابتها، وكيفية اقتباسهم منها ووصفهم لها، ثم يحاول استكشاف سبب عودة الاهتمام بها في العصر الحديث، ويعرض لرحلة طباعتها في السياق المعاصر والتحقيقات التي ظهرتْ لها عبر الاستناد على أفكار وليد صالح وأحمد الشمسي حول إعادة اكتشاف أو إعادة بناء التراث، والذي تمّ في عصر الطباعة والتحقيق، محاولًا بهذا رسم صورة عن تاريخ مقدّمة ابن تيمية منذ كتابتها وإلى أن أضحتْ نصًّا مهمًّا ومركزيًّا ومعياريًّا في النظر للتفسير.

تكشف هذه المقالة عن اشتغال داخل الكتابات الغربية المعاصرة حول التفسير، يقوم بتفكيك الصورة التي يحملها الفكر العربي والغربي الحديث عن مدوَّنات التفسير والتآليف ذات الصِّلَة به، في محاولة لاقتراب أكبر من طبيعة هذا العلم في السياق التراثي، مما يجعل من المهمّ إطلاع القارئ العربي عليها.

الدراسة[١][٢]

في بدايات القرن العشرين، اكتشف مفتي الحنابلة في دمشق، محمد جميل الشطّي (ت: ١٣٧٨هـ = ١٩٥٩م)، رسالةً فريدةً لم يسبق له أن اطّلع عليها، كتبها العالمُ الكبير ابنُ تيمية (ت: ٧٢٨هـ = ١٣٢٨م)[٣]. ومع أنّ علوم ابن تيمية ومؤلَّفاته قد انتشرتْ على نطاق واسع ووصلتْ إلى العامة والخاصّة؛ بيد أنّ هذه الرسالة تحديدًا ظلّت مغمورة ولم تكن قد نُشِرَتْ من قبلُ آنذاك. تتناول الرسالةُ أصولَ التفسير والمناهج التي اتّبعها المفسِّرون حتى عصر ابن تيمية، مع التركيز بشكلٍ خاصّ على المناهج المتوافقة مع نهج السلف الصالح، والإيعاز إلى ما يخالف ذلك والتحذير منه. ويؤكّد الشطّي أنّ الرسالة تُظهر تبحُّر ابن تيمية في التفسير، ويصرح قائلًا: «لا يُعلم حتى الآن أنه أُلِّف مثلها [في] موضوعها»[٤]. لم يكن الشطّي يدرك حينذاك أنّ إخراج هذه الرسالة ونشرها

---

(١) عنوان الدراسة باللغة الإنجليزية:

'A Precious Treatise': How Modern Arab Editors Helped Create Ibn Taymiyya's Muqaddima fī uṣ ūl al- tafsīr

وقد نشرت في Journal of Qur'anic Studies في عام ٢٠٢٤م.

(٢) ترجم هذه الدراسة: مصطفى هندي، باحث ومترجم، له عدد من الأعمال المطبوعة.

(٣) كما سيُناقش لاحقًا في هذا البحث، فإن كلمة «نفيس» المستخدمة في عنوان هذه الدراسة قد استخدمها من قبلُ كلٌّ من السيوطي (ت: ٩١١هـ = ١٥٠٥م)، والمحقّق المعاصر محبّ الدين الخطيب (ت: ١٩٦٩م) لوصف الرسالة، وهو ما يمثّل رابطًا بين الحِقْبتين والمؤلّفين.

(٤) ابن تيمية، مقدّمة في أصول التفسير، تحقيق الشطّي، ص١.

سيغيِّر معالم المشهد الحديث لحقل التفسير من خلال إذكاء التحوّل نحو التركيز على التفسير المستند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وتفسير القرآن بالقرآن والسُّنة النبوية.

يعتبر الباحثون المعاصرون كتابات ابن تيمية حول القرآن بمنزلة الكتابات المعيارية، ويرون أنها ممثّلة للتراث الإسلامي الكلاسيكي، خاصّة رسالته: «مقدمة في أصول التفسير». بل أصبحت هذه الرسالة -حقيقة- واحدة من أكثر أعمال الحِقْبة الوسيطة حضورًا في حقل التفسير، وأضحت مرتكز التأطير المفاهيمي الحالي للدراسات القرآنية، على الرغم من أنها -تاريخيًّا- لم يكن لها مثل هذا الحضور القوي. فعلى سبيل المثال؛ في الجزء الخاصّ بالإسلام من (مختارات نورتون لأديان العالم) (*Norton Anthology of World Religions*)، ضمّنَت المحرّرة والباحثة في الدراسات القرآنية جين دامن مكوليف نصوصًا مهمّة من التراث الإسلامي، تغطِّي كلّ أبعاده المختلفة من عِلْم الكلام وحتى التصوّف؛ وحين جاءت إلى قسم «علوم القرآن: الدراسات النصِّيّة أو العلوم القرآنية»، اختارت مكوليف[(١)] أَنْ تُدْرِج

(١) جين مكوليف (١٩٤٤-): أستاذة الدراسات الإسلامية بجامعة تورنتو، متخصّصة في الآداب والفلسفة الكلاسيكية والدراسات الإسلامية، وهي رئيس فخري لكلية برين ماور، وعميد سابق لجامعة جورج تاون، وهي مديرة مشروع الموسوعة القرآنية، والتي صدرت منها ستة مجلدات. لها بعض الكتب المتعلّقة بالتفسيرات الكتابية والتفسيرات المسيحية، منها: المسيحيون القرآنيون، تحليل =

اقتباسَيْن؛ الأول من تفسير فخر الدين الرازي، والآخر من مقدّمة أصول التفسير لابن تيمية[١]. يوضح هذا الاختيار مدى أهمية عمل ابن تيمية في نظر الباحثِين المعاصرين، وكيف أصبح محوريًّا في رسم معالم التراث التأويلي الإسلامي[٢].

=

التفسير الكلاسيكي والحديث، ١٩٩١، في توقير الكلمة، التفسيرات الكتابية في العصور الوسطى، في اليهودية والمسيحية والإسلام، ٢٠٠٢. (قسم الترجمات)

(١) McAuliffe, The Norton Anthology, p. 294؛ وقد ترجمت ماكوليف كذلك جزءًا من المقدّمة في الجزء الخاصّ بها ضمن مختارات «نوافذ على بيت الإسلام Windows on the House of Islam». وعلى نحو مماثل، في مقاله حول (التفسير) في «موسوعة أكسفورد للعالم الإسلامي The Oxford Encyclopedia of the Islamic World»، خصّص مستنصر مير قسمًا بعنوان (المبادئ)، وذكر أن «الطريقة المناسبة لتغطية هذا الموضوع هي إلقاء نظرة على عمل أحد أعلام الحِقْبة الوسيطة ألا وهو (مقدّمة في أصول التفسير) لابن تيمية». ثم شرع في مناقشة منهج ابن تيمية التأويلي للقرآن، مستخدمًا إطار الرسالة الخاصّ بالتفسير بالمأثور والتفسير بالرأي في بقية مقاله. وبالمثل، تحت القسم الخاصّ بـ(التفسير) في «قاموس أكسفورد للإسلام Oxford Dictionary of Islam»، لا يُذكر ابن تيمية صراحة، بيد أنّ المصطلح يُعَرَّف بدلالة الإطار المفاهيمي التيمي: «مع كون [النبي] محمد هو أكثر مفسِّري القرآن موثوقية، لكن تفسير القرآن بالروايات المقبولة والمنقولة عن صحابته أو التابعين يُعتبر أيضًا موثوقًا». كما اعتمد أوليفر ليمان بصورة كبيرة على الرسالة وطبعة زرزور في القسم الذي أسهم به حول (التفسير: الآراء السلفية) في «موسوعة القرآن Encyclopaedia of the Qurʾān».

(٢) تلاحظ ماكوليف أن ابن تيمية «ربما لم يكن ليحظى بأكثر من ذِكْرٍ هامشي في كتب التاريخ الحنبلي، لولا التأثير الكبير الذي يمارسه فكره في العصر الحديث» (McAuliffe, The Norton Anthology, p. 294). علاوة على ذلك، تقول ماكوليف أيضًا في تصديرها للكتاب أنّ أكثر نصوص علوم القرآن تأثيرًا هما كتاب الزركشي (ت: ٧٩٤هـ= ١٣٩٢م) والسيوطي (ت: ٩١١هـ= ١٥٠٥م) (McAuliffe, The

=

ويمكن الوصول لنفس الاستنتاج من الدراسات التيمية، التي تسلّط الضوء بصورة أكبر على الدور المحوري الذي اضطلعَتْ به مقدّمته. ففي الكتاب المهمّ والمؤثر (ابن تيمية وعصره)[١]، ضمّ المحرّران يوسف روبوبورت وشهاب أحمد فصولًا حول مجموعة متنوّعة من المواضيع المتعلّقة بسيرة ابن تيمية وتراثه؛ وخصّصَا فصلًا كاملًا فقط لـ(مقدّمة في أصول التفسير) بعنوان: «ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدّمة التفسير» لوليد صالح[٢]. في هذا الفصل، يلاحظ وليد صالح[٣] أنّ «تلك الرسالة الصغيرة

=

Norton Anthology, p. 58). ويوضح المحرّر العام للسلسلة، جاك مايلز، أنّ الغرض الرئيس من هذه المختارات هو «الرغبة في أن تُتاح الفرصة لستة أديان عالمية كبرى حيّة أن تتحدّث إلى القرّاء بألسنتها الحقيقية، بدلًا من الاكتفاء بنقل ما يسطّره الآخرون عنها» (ص xvii).

(١) هذا الكتاب مترجم إلى العربية بعنوان: ابن تيمية وعصره، ط. الشبكة العربية، ٢٠١٨م، ترجمة: محمد بو عبد الله. والمقال المذكور مترجم ضمن الكتاب بعنوان: (ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدّمة التفسير)، ص١٤٦. والاقتباسات المنقولة عن هذه المقالة في النصّ موثقة من موضعها بالترجمة العربية للكتاب. (المترجم)

(٢) وليد صالح، ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدمة التفسير. وللمزيد حول منهج ابن تيمية التأويلي للقرآن، انظر: Hoover, 'Ibn Taymiyya' (يصدر قريبًا).

(٣) وليد صالح، أستاذ الدراسات الإسلامية، ومدير معهد الدراسات الإسلامية بجامعة تورونتو بكندا. حصل على البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من الجامعة الأمريكية ببيروت، وشهادتي الماجستير والدكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة يال. تنصبّ اهتماماته البحثيّة على القرآن وتاريخ

=

المعنونة بـ(مقدّمة في أصول التفسير) كان لها كبير الأثر على تاريخ التفسير بعامة»[١]. ويوضح لاحقًا أنه على الرغم من أنّ تأثير تلك الرسالة في الحِقْبة الوسيطة كان ضئيلًا، إلا أنّ تأثيرها الحقيقي ظهر في العصر الحديث؛ ذلك أنها -على سبيل المثال- أثّرت بصورة كبيرة على التفاسير الجديدة، وقدّمت منظورًا خاصًّا يؤطِّر من خلاله التراث الكلاسيكي[٢]؛ حتى أصبحت العديد من رؤى ابن تيمية الآن هي المنهاج المعياري القويم، بينما كانت -تاريخيًّا- «رؤى ثورية وذات منحى تجديدي»[٣].

أمّا الدراسات والأبحاث العربية حول القرآن وابن تيمية، فإنها تطرح آراءه باعتبارها الرؤى المعيارية القويمة، مع حضور قويّ ومؤثّر للمقدمة. وفي هذا

=

التفسير، وعلى التصانيف الإسلامية المتعلّقة بالآخرة. له الكثير من الكتب المهمّة في هذا الميدان، منها:

- The Formation of the Classical Tafsir Tradition, The Quran Commentary of Al-Thalabi, Leiden: Brill, 2004

تشكل التفسير الكلاسيكي، تفسير القرآن للثعلبي. (قسم الترجمات)

(١) وليد صالح، ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدمة التفسير، ص١٥٣.

(٢) وليد صالح، ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدمة التفسير، ص١٦٣.

(٣) وليد صالح، ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدمة التفسير، ص١٦٣ إلى جانب تحليل محتويات الرسالة، كان وليد صالح من أوائل من فحصوا تاريخ نشر النصّ ولاحظوا دور المحقّقين الأوائل في انتشاره. وكما سيُناقش لاحقًا، فقد نظر عدنان زرزور أيضًا في مختلف مخطوطات العمل وإسهامات محقّقيه.

الصّدد نجد أنّ كتاب محمد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ= ١٩٧٧م) (التفسير والمفسرون) -وهو أهمّ عمل في القرن العشرين في حقل التفسير- متأثرٌ بعمق بمقدمة ابن تيمية. ويوضح وليد صالح في مقاله: (مداخلات أوليّة حول الكتابات المؤرخة للتفسير باللغة العربيّة: مقاربة مبنيّة على علم تاريخ الكتاب)[١]، أن «النظرة المفاهيمية» للذهبي متأثرة بـ«نظرية ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ= ١٣٢٨م) حول تاريخ التفسير، وتعدّ هي الأساس الفلسفي لكتاب الذهبي»[٢]. مضيفًا أنّ عمل الذهبي «أحكم قبضة الخطاب المتأثّر بابن تيمية على التأريخ العربي والإسلامي الحديث للتفسير. ومنذ ذلك الحين أصبح (الباراديغم التيمي) هو المنظار الذي يُنظر من خلاله عامّة الباحثين العرب إلى تاريخ التفسير»[٣]. في بعض الأحيان، يكون حضور (الباراديغم التيمي) ضمنيًّا في منطلقات كتاب الذهبي وتأصيلاته المفاهيمية، بينما في أحيان أخرى يشير الذهبي مباشرة إلى ابن تيمية. فعلى سبيل المثال؛ عنون الذهبي قسمًا بـ«حكم

(١) هذه المقالة لوليد صالح مترجمة إلى العربية في مجلة التفاهم، عدد ٦٩، صيف ٢٠٢٠، ترجمة: يوسف مدراري. وقد أوردت عنوان المقالة عن هذه الترجمة وكذلك النقولات عن هذه المقالة في النص. (المترجم)

(٢) وليد صالح، مداخلات أوليّة. انظر هذا المقال للمزيد حول كيف أثّر منهج ابن تيمية التأويلي للقرآن على فهمنا المعاصر للتفسير.

(٣) وليد صالح، مداخلات أوليّة، ص٤٥٧.

ابن تيمية على تفسير المعتزلة»، وفيه يقتبس من المقدّمة حول كيف أنّ البدعة الكلامية مدسوسة في تفسير الزمخشري، وكيف أنّ العلماء اللاحقين يستشهدون وينقلون عنه ما يوافق بدعته دون وعي منهم بذلك[١]. وعلى نفس المنوال في ترجمته الشهيرة لابن تيمية، بنى محمد أبو زهرة الفصل الخاصّ بمنهج ابن تيمية في التفسير حصرًا على الاقتباس من المقدّمة[٢]. وقد تناول أبو زهرة باختصار إحدى رسائل ابن تيمية التفسيرية في تحليله لكيفية تباين منهجه في التفسير مع منهج الغزالي (ت: ٥٠٥هـ= ١١١١م)[٣].

وبعبارة أوجز؛ سواء في المداخل الموسوعية المختارة حول الإسلام، أو الأعمال التمهيدية عن التفسير، أو الدراسات حول ابن تيمية؛ فإنّنا نجد (مقدّمة في أصول التفسير) تشكّل جزءًا رئيسًا من فهمنا الحديث للقرآن، بل إنها تمثّل مَعْلمًا بارزًا في الإرث الفكري لابن تيمية، إِذْ تُستحضر المقدّمة باستمرار باعتبارها منظارًا معياريًّا لتفسير القرآن وفهم التراث التفسيري. بيد أنني أرى -بناءً على أعمال وليد صالح وأحمد الشمسي- أنها لم تُستخدم قط تاريخيًّا متنًا دراسيًّا، وإنما جُمِعَتْ وحظيتْ بالانتشار الواسع فقط في العصر الحديث.

(١) الذهبي، التفسير والمفسرون، (٢/ ٢٧٤).

(٢) أبو زهرة، ابن تيمية، ص٢٢٠. وللوقوف على ترجمة أحدث لابن تيمية وبلغة أوروبية، انظر: Hoover, 'Ibn Taymiyya'

(٣) أبو زهرة، ابن تيمية، ص٢٣٤.

إِذْ لا تدرج المصادر من الحقبة ما قبل الحديثة المقدّمة باعتبارها أحد أعمال ابن تيمية، وأمّا على مستوى الاقتباسات والمخطوطات المتعلقة بها فهي قليلة. ثم أعيد اكتشاف هذه الرسالة مع نشر الشطِّي لها وغيره من المحقّقين العرب، وحينها فقط نُقّحت وحُقّقت ونُشرت وخرجتْ عليها الشّروحات. وبفضل عملهم ذلك، أصبحتْ مقدمة ابن تيمية واحدة من أكثر الرسائل تأثيرًا في مجال التأويل القرآني، وساعدتْ في تحويل وجهة حقل التفسير الحديث بأكمله ليصبح أكثر ارتباطًا واعتمادًا على الآثار المنقولة.

(مقدمة في أصول التفسير) في مسارد مصنفات ابن تيمية:

لِحُسْنِ الحظّ، فإنّ الدراسات التيمية تتميّز بوجود عدّة قوائم لمصنّفاته جمعها تلاميذه، ويمكن بسهولة الوقوف عليها في مختلف كتب التراجم والسِّيَر التي عُنيت بالترجمة لابن تيمية. مسارد المصنفات هذه ضرورية لأنها تفتح لنا نافذة على مؤلَّفات ابن تيمية التي اعتبرها معاصروه مركزية ومهمّة، ومن ثم فهي جديرة بالتحليل. وفي هذا الصّدد؛ تجدر ملاحظة أنّ هذه القوائم لا تتوافق دائمًا وبصورة كاملة مع الطريقة التي ينظر بها الباحثون المعاصرون إلى إرث ابن تيمية الفكري؛ فهناك أعمال لابن تيمية اعتبرها العلماء القدامى مركزية في إرثه الفكري لكنها نُسيت إلى حدٍّ كبيرٍ؛ وفي المقابل، هناك أعمال أخرى تحظى بانتشار واسع الآن ولكنها لم تكن كذلك بالنسبة للسابقين.

ما يتّضح من دراسة هذه القوائم المختلفة هو أنّ غالبية كتابات ابن تيمية كانت مقتضبة، وأنها كانت استجابات لأفكار قرأها أو أمور رآها في المجتمع؛ إِذْ غالبًا ما تتضمّن عناوين مصنفاته كلمات، مثل: «جواب» و«مسألة» و«شرح» و«رسالة» و«قاعدة»، وصحيحٌ أننا نجد وصف «كتاب» في بعض مصنّفاته، ولكنه ليس بنفس تكرار الأوصاف الأخرى[1]. من المهمّ هنا تسليط الضوء

(١) انظر أيضًا القائمة اللاحقة لابن رجب الحنبلي التي لا تذكر الرسالة (آثار، ج٨، ص:٤٨٢- ٤٨٣). ويذكر ابن رجب أن ابن تيمية كان خبيرًا في التفسير. انظر: ابن رجب، آثار، (٨/ ٤٦٨).

على حقيقة أنّ أيًّا من أعمال ابن تيمية ليست (مقدمات) بمعنى أنها تقدّم موضوعًا ما أو عِلْمًا ما للقارئ. فمع أنّ معاصري ابن تيمية قد صنّفوا مقدّمات، مثل مقدّمة ابن الصلاح (ت: ٦٤٣هـ = ١٢٤٥م) الشهيرة في علم الحديث (كتاب معرفة أنواع علم الحديث)[١]، بيد أنّ عقل ابن تيمية وشخصيته لم يكونَا منسجمين مع مثل هذه الأنواع من الإنتاج الفكري[٢]. وكما توضح كاترينا بوري، «لم يكن لابن تيمية عقلٌ منهجي؛ بل كان ذهنه متفجرًا دفاقًا بصورة مغايرة للطريقة النمطية؛ وهذا يسري على أعماله كمًّا وكيفًا»[٣].

(١) الشهرزوري [ابن الصلاح]، مقدمة. وكما يوضح المحقّق، فإنّ الكتاب مشهور باسم (المقدّمة).

(٢) ومع ذلك: كتب ابن تيمية عملًا تمهيديًّا في علم الكلام وهو (العقيدة الواسطية) والذي لا يزال يُستخدم بكثرة في الأوساط المدرسية الحديثة.

(٣) تواصل بوري قائلة: «إنّ أيّ شخص يقترب من كتاباته، لا بد أن يتعامل مع أسلوبه الاستطرادي والتكراري، ومع العدد الهائل من المراجع والعلماء السابقين الذين يستحضرهم في ذهنه أو يشير إليهم مباشرة، ومع لغته الجدلية، وأهدافه التي يتغيّاها تصريحًا أو تلميحًا» (Bori, 'The Collection and Edition of Ibn Taymiyah's Works', p. 55). وفي موضع آخر، تذكر بوري: «يمكن القول أنّ ابن تيمية كان كاتبًا مندفعًا ومتدفّقًا، وسريعًا، يكتب حسب ما تمليه عليه الظروف، وأنه كتب كثيرًا من ذاكرته، وأن كتاباته –خاصّة أجوبته وقواعده القصيرة– لم تُنسخ وتُنقل بصورة منهجية» (Bori, 'Istanbul, Süleymaniye Kütüphanesi MS Sehid Ali Pasa 1553', p. 26). كما يلاحظ ليمان: أنّ «جميع أعمال ابن تيمية تقريبًا جاءت على طريقة الرّد أو النقد، والأهداف التي يهاجمها تُعامل بعداوة كبيرة» ('Leaman, 'Tafsīr- Salafi Views').

فيما يتعلق بـ(مقدّمة في أصول التفسير)، لا تتضمّن أيٌّ من هذه القوائم هذا العنوان باعتباره من مصنّفات ابن تيمية. بيد أنّ أهمّ مسرد لدينا حول مصنّفات ابن تيمية، ذلك الذي وضعه تلميذ ابن تيمية المقرّب: ابن رشيق (ت: ٧٤٩هـ = ١٣٤٩م)[(١)]، يذكر عملَيْن يبدو أنهما ما نعرفه الآن باسم (مقدمة في أصول التفسير)[(٢)]:

(١) ابن رشيق، أسماء مؤلفات ابن تيمية. هذا العمل نُسب خطأً إلى ابن قيم الجوزية: انظر :
Hoover, Ibn Taymiyya's Theodicy, p. 6, n. 14
ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص٤٦؛ ابن رجب الحنبلي، آثار، (٨/ ٥٦). يلاحظ المحققان محمد عزير شمس وعليّ بن محمد العمران أنّ الطبعات المنشورة المختلفة للعمل محرّفة وناقصة. وهما ينتقدان بشكلٍ خاصّ عمل (المنجد) المذكور أعلاه؛ ولذلك فقد أنتجَا نسختهما الخاصّة من النصّ. وللمزيد حول الدور المهمّ لابن رشيق في جمعِ أعمال ابن تيمية، انظر: Bori, 'The Collection and Edition of Ibn Taymiyah's Works'.

(٢) ابن رجب الحنبلي، آثار، (٨/ ٢٩٤). من المهم ملاحظة أنّ هذا القسم من قائمة ابن رشيق لا يظهر في نسخ مخطوطة أخرى من العمل. (انظر -على سبيل المثال- ابن رشيق، أسماء مؤلفات ابن تيمية، ص١٨). ويوضح محققَا آثار شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد عزير شمس وعليّ بن محمد العمران، أنهما نشَرَا هذه القائمة منقولة عن نسخة بخطّ طاهر الجزائري من مخطوطة يبدو أنها فُقدت الآن (ابن رجب الحنبلي، آثار، ج٨، ص٥٦). بيد أن طاهر الجزائري لم يتمكن من نسخ القائمة كاملة، بل توقف حتى نهاية القسم الخاصّ بأعمال ابن تيمية حول القرآن. ثم اضطر محمد عزير شمس وعليّ بن محمد العمران للاعتماد على مخطوطة أخرى استخدمها أيضًا المحقّق المنجد المذكور أعلاه. وأتفقُ مع محمد عزير شمس وعليّ بن محمد العمران أن مخطوطة الجزائري تبدو أكثر اكتمالًا وموثوقية، ومع دعوتهما لمحاولة الوقوف على المخطوطة الأصلية (ابن رجب الحنبلي، آثار، ج٨، ص٦٣).

«وله قواعد في التفسير مُجملة، تكلّم فيها على المصنّفات، وعلى المفسِّرين، وما هو متّصل وغير متّصل، ومن يعتمد عليه ومن لا يعتمد عليه، رأيتُ منها نحو مجلد كبير».

وبعد ذلك مباشرة، يذكر ابن رشيق أن ابن تيمية «كتب قاعدة كبيرة في هذا المعنى»، مما يشير إلى أنّ ابن تيمية كتب رسالة منفصلة تغطي مواضيع مماثلة[(١)]. من تعليقات ابن رشيق، نرى أنّ عمل ابن تيمية في التفسير لم يكن له اسم محدّد، كما كان الحال مع العديد من مصنّفاته الأخرى؛ والأرجح أنّ ابن تيمية كتب (قواعد) تتعلّق بالتفسير يبدو أنها جُمِعَتْ في مجلد واحد. ويذكر ابن رشيق أنّ هذا المجلد كان (كبيرًا)، مما يشير إلى أنه احتوى على رسائل متنوّعة حول كيفية تفسير القرآن، وهو ما يختلف عن الرسالة المختصرة نسبيًّا المعروفة لدينا بـ(مقدمة في أصول التفسير). لا يستبعد أن بعض قواعد ابن تيمية المتعلّقة بالتفسير قد فُقدت، أو لم تُدمج في ما نعرفه الآن باسم المقدّمة؛ وقد يكون

(١) ثم يتبع ذلك بعنوان آخر ينصّ على: «وله جواب في تفسير البغوي والقرطبي والزمخشري أيها أفضل؟»؛ من هذا القسم، يبدو أنّ ابن رشيق جمع الأعمال التي تناولتْ مباشرة الأدبيات التفسيرية الموجودة. الأولان هما ما نعرفه الآن بـ(مقدمة في أصول التفسير)، بينما يبدو أن الأخير فتوى مستقلّة أصدرها ابن تيمية لسائل. هذه الفتوى الأخيرة يبدو أنها محفوظة في (مجموع الفتاوى) الشهير ومحتواها مشابه لقسم من (مقدمة في أصول التفسير) الذي يناقش أيضًا جودة أعمال مختلف المفسِّرين. (انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٣/ ٣٨٥- ٣٨٨)؛ و: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: زرزور، ص٧٦).

المقصود بما يصفه ابن رشيق بأنه «قاعدة كبيرة في هذا المعنى»، هو في الواقع ما نعرفه الآن بـ(مقدمة في أصول التفسير). في ضوء ذلك، فإنّ حقيقة أن هذه الكتابات كانت عن قواعد متنوّعة تتماشى مع المسألة التي أثارها وليد صالح، وهي أنّ المقدمة «يشوبها شيءٌ من عدم التنظيم وتتّسم ببعض المرونة في تأليفها» مما «يجعل من الصعب أحيانًا فهم ما كان ابن تيمية يحاول قوله بشكل كامل»[(١)]؛ فالمسار العام للمقدّمة كما نعرفها اليوم لا يتدفق بصورة منهجية، حتى تبدو وكأنها كُتبت في أوقات مختلفة.

أمّا كتب السِّيَر والتراجم فتشير أغلبها إلى تبحّر ابن تيمية في التفسير، لكنها لا تشير إلى أيّ مصنف محدّد له في هذا الموضوع. فعلى سبيل المثال؛ يذكر صديقه المقرّب ومعاصره البرزالي (ت: ٧٣٩هـ = ١٣٣٩م) أنّ ابن تيمية كان إمامًا في التفسير[(٢)]. وعلى مستوى آخر يتضمّن أحد أهمّ كتب تراجم المفسِّرين -(طبقات المفسرين) للداوودي (ت: ٩٤٥هـ = ١٥٣٨م)- ترجمة لابن تيمية يذكر فيها أنه كان «المفسِّر البارع الأصولي»، بينما تصف تراجم أخرى أعماله في التفسير بمزيد من التفصيل، مثل الذهبي الذي يبيِّن أن ابن تيمية[(٣)]:

(١) وليد صالح، ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدمة التفسير، ص١٦٧.

(٢) ابن رجب الحنبلي، آثار، (٨/ ٤٤٣).

(٣) هذا القسم مقتبس عند: ابن رجب الحنبلي، آثار، (٨/ ٤٦٨). وفي نهاية الترجمة، يسرد ابن رجب بعض عناوين أعمال ابن تيمية، وليس بينها (مقدّمة في أصول التفسير). وقد ترجمت بوري هذا النقل في: Bori, 'A New Source', p. 341

«...ولِفَرْط إمامته في التفسير وعظَمَة اطّلاعه يبيّن خطأ كثيرٍ من أقوال المفسِّرين، ويوهّي أقوالًا عديدة، وينصر قولًا واحدًا موافقًا لما دلّ عليه القرآن والحديث».

وفي موضع آخر، يذكر الذهبي أنّ ابن تيمية[١]:

«برع في تفسير القرآن، وغاصَ في دقيق معانيه بطبعٍ سيّال، وخاطرٍ إلى مواقع الإشكال ميّال، واستنبط منه أشياء لم يُسبق إليها».

ومع أنّ هذه التراجم تذكر بعض عناوين مصنّفات ابن تيمية، إلا أنّ أيًّا منها لا يذكر أسماء أيّ أعمال تفسيرية، وخصوصًا (مقدمة في أصول التفسير).

هناك استثناء من هذه الممارسة نراه في ترجمة ابن بطوطة (ت: ٧٧٠هـ = ١٣٦٨- ١٣٦٩م)، الموجزة لابن تيمية في الفصل الخاص بدمشق من كتابه الشهير (الرحلة)، وهي ترجمة تعكس مدى تأثير ابن تيمية في مدينته[٢]. في هذه الترجمة الموجزة، يذكر ابن بطوطة أنّ ابن تيمية ألَّف تفسيرًا يُسمَّى (البحر المحيط) في ٤٠ مجلدًا أثناء وجوده في السجن. بطبيعة الحال، شكّك العديد من العلماء في موثوقية روايات ابن بطوطة، خاصة صحة معلوماته وما إذا كان قد عاين فعلًا الأحداث التي يرويها[٣]. ولا تذكر أيٌّ من مسارد مصنّفات ابن تيمية

(١) ابن رجب الحنبلي، آثار، (٨/ ٦٣٠).

(٢) ابن رجب الحنبلي، آثار، (٨/ ٤٦٠).

(٣) انظر الهامش في: ابن رجب الحنبلي، آثار، (٨/ ٤٦٢).

الأخرى هذا التفسير، ويتّفق الباحثون المعاصرون على أن ابن تيمية لم يكتب شيئًا كهذا أصلًا[١]. علاوة على ذلك، لم يكن ابن بطوطة مقيمًا في دمشق، بل كان يمرّ عبر المدينة فقط؛ ومع أنه سجّل في ذلك الفصل ملاحظات متنوّعة وتفاعلات شخصية، ولكن لا يظهر في شيء منها معرفة قوية بمختلف العلماء والشخصيات. ولكن يبدو أنّ ترجمة ابن بطوطة تلك تؤكّد على الأقل أنّ ابن تيمية كان له اهتمام قوي بالتفسير، وأنه كتب شيئًا في هذا الموضوع أثناء وجوده في السجن[٢]. وابن بطوطة في ترجمته الموجزة تلك لم يَذْكر من مصنّفات ابن تيمية سوى (البحر المحيط)، ولا نرى فيه ذِكْرًا لـ(مقدمة في أصول التفسير).

استثناء آخر نراه في ترجمة ابن تيمية التي كتبها الصفدي (ت: ٧٦٤هـ = ١٣٦٣م)، وترجمته تلك أهمّ بالنسبة لنا من سابقتها؛ لأنّ مؤلِّفها لَقِي ابن تيمية وكان على دراية بعِلْمه. في هذه الترجمة يسرد الصفدي مصنفات ابن تيمية بطريقة تعكس أنها جُمعت بشكلٍ مستقلّ عن تلك الموجودة في ترجمة ابن

(١) انظر الحاشية رقم ٥ في: وليد صالح، ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدمة التفسير، ص١٥٥. كما يلاحظ وليد صالح: «وإنّ رأي إبراهيم بركة الذي ألّف دراسة مستفيضة حول أنشطة ابن تيمية التفسيرية، واضح في هذه المسألة: لم يكتب ابن تيمية تفسيرًا كاملًا للقرآن». انظر: بركة، ابن تيمية، ص٧١– ٧٦. وانظر أيضًا: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: زرزور، ص١٥.

(٢) يخمّن وليد صالح أنّ ابن تيمية كتب (مقدمة في أصول التفسير) أثناء وجوده في السجن (وليد صالح، ابن تيمية وصعود الهرمنيوطيقا الراديكالية، ص١٦٧).

رشيق المذكورة سابقًا. ومثلما فعل ابن رشيق، قسم الصفدي أعمال ابن تيمية إلى فئات فرعية مختلفة، مبتدئًا بأعماله في التفسير؛ حيث سرد آيات وسور مختلفة من القرآن كتب ابن تيمية عليها تعليقات، ولكنه لم يذكر أيّ عمل تفسيري كامل، وبالطبع لا وجود لـ(مقدمة في أصول التفسير). في نهاية الترجمة، يلاحظ الصفدي أنّ ابن تيمية كتب تعليقات «غير ذلك على آيات مفرّقة»، مؤكدًا أنّ ابن تيمية لم يكتب تفسيرًا كاملًا بل فقط تعليقات على آيات محدّدة أو مشكلات تفسيرية[1]. ومع معرفة الصفدي الشخصية بابن تيمية وإلمامه بأعماله، يبدو أنه لا يرى لابن تيمية مصنّفًا مستقلًّا حول أصول التفسير.

وهكذا؛ من خلال النظر في المسارد المختلفة لمصنّفات ابن تيمية وتراجم العلماء له، يمكننا أن نؤكّد اهتمامه القوي ومهارته الفذّة في التفسير؛ وأنه كان متبحّرًا في هذا المجال وكتب تعليقات على آيات وسور معيّنة من القرآن. ومع ذلك، لا تذكر أيٌّ من التراجم أو المسارد أيَّ عمل بعنوان: (مقدّمة في أصول التفسير)، وابن رشيق هو المؤلّف الوحيد الذي أدرج عملًا يبدو أنّ مضمونه مشابه لما نعرفه الآن بالمقدمة. إلا أنّ ابن رشيق لم يحدّد عنوانًا لهذا المصنف، بل وصفه ببساطة بأنه «مجلد كبير» أو «قواعد» حول كيفية تفسير القرآن. وكما سنرى، فإنّ غياب أيّ عنوان محدّد هو أيضًا سِمَة من سمات الاقتباسات والإشارات المختلفة للمقدمة.

(١) ابن رجب الحنبلي، آثار، (٨/ ٣٥٣، ٣٧٦).

الإشارات والاقتباسات من (مقدمة في أصول التفسير) في كتابات الحقبة الوسيطة:

عند دراسة الإشارات المختلفة لدى عددٍ من المصنّفين والعلماء إلى المقدّمة، فإنّنا سنجد أيضًا أنهم يذكرون أجزاء مختلفة من الرسالة ولا يسمّونها بعنوان محدّد[١]. ولعلّ الاقتباس الأشهر هو الذي عند ابن كثير، حيث ضمّن الفصلَيْن الأخيرَيْن مما نعرفه الآن باسم (المقدّمة) في مقدّمة تفسيره. وبنظرة فاحصة في اقتباس ابن كثير؛ يتّضح أنه لم يذكر لا اسم الكتاب الذي نقل منه، ولا اسم العالم الذي ينقل عنه؛ حيث لم يُشر ابنُ كثير في أيّ موضع أنه يقتبس من (مقدمة في أصول التفسير) لابن تيمية. وقد أدّى هذا الإغفال إلى دفع بعض الباحثين المعاصرين إلى القول بأنّ الفصلَيْن الخامس والسادس من المقدّمة هما في الواقع من تأليف ابن كثير نفسه وليس ابن تيمية[٢]. فعلى سبيل المثال، يلاحظ أحد محقّقي المقدمة المعاصرين -سامي بن محمد بن جاد الله- أنّ ابن

---

(١) للمزيد حول استشهادات بأعمال ابن تيمية في العصر السابق للحداثة، انظر:

Dayeh, 'Reading Ibn Taymiyya in Granada'

كما يذكر إسلام ديه في خاتمته: «كمساهمة منهجية، أثبتت هذه الدراسة أهمية النظر في النقل الضمني باعتباره نمطًا من أنماط التلقي. وهناك الكثير مما يمكن بناؤه من توسيع نظرتنا لتشمل فحص النقولات غير الصريحة من أعمال ابن تيمية». (ص١٧١).

(٢) يذكر إسلام ديه أنّ بعض العلماء كانوا يتجنّبون الاستشهاد باسم ابن تيمية خوفًا من التبعات المحتملة. بيد أن ابن كثير يذكر ابن تيمية كثيرًا في جميع أعماله؛ لذا فإنّ إغفال اسمه هنا من غير المرجَّح أن يكون لهذا السبب.

كثير كان شديد العناية بالإشارة إلى مصادره التي ينقل عنها في جميع أعماله؛ لذا فمِن المستبعَد جدًّا أن ينقل فصلَيْن كاملين عن ابن تيمية نقلًا حرفيًّا دون نسبة[١].

علاوة على ذلك؛ اكتفى ابن كثير بنقل الفصلَيْن الأخيرَيْن فقط من (مقدمة في أصول التفسير)، مما يشير إلى أنّ هذين الفصلين معًا مستقلّان بصورة ما عن بقية الرسالة. وفي تحليله للرسالة، يقسم وليد صالح الفصول الستة للمقدمة إلى (قسمين رئيسين)؛ حيث تقدّم الفصول الأربعة الأولى «الأُسُس التمهيدية والتسويغ للنظرية التأويلية التي فصّلها المؤلِّف في الفصلين الأخيرين»[٢]. كما يشير صالح إلى أنّ هناك انقطاعًا حادًّا وتفاوتًا شديدًا في الأسلوب بين الأقسام؛ إِذْ يركّز القسم الأول على طرح ابن تيمية نظرية جديدة، بينما الأخير يتمحور حول اقتباس عدد من الآثار المتعلّقة بتفسير القرآن بشكلٍ صحيحٍ. وفوق هذا وذاك؛ تبدو بنية القسم الأخير أقرب إلى كونه فتوى وليس رسالة، حيث يبدأ

(١) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص٥٥. ومما يدعم حجة جاد الله حقيقة أنّ ابن كثير يذكر اسم ابن تيمية ست مرات في تفسيره؛ لذا سيكون من المستبعد ألّا يذكره في مقدمته (Mirza, 'Ibn Kathīr [d. 774/ 1373]', p. 58). وإنّ الدراسات المستقبلية تحتاج لأخذ حُجّة جاد الله على محمل الجدّ، خاصّة أدلته المتعلّقة بتحليل المخطوطات التي تشير إلى أن ابن كثير هو مؤلّف الفصلين الخامس والسادس. وآمل أن أعثر على هذه المخطوطات وأكتب أكثر حول هذا الموضوع.

(٢) وليد صالح، ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدمة التفسير، ص١٦٧.

بالسؤال: «ما أحسن طرق التفسير؟» ويجيب المؤلِّف على هذا السؤال من خلال سرد عدد من الآثار المتعلّقة بكيفية تفسير القرآن ومخاطر التفسير بالرأي. ويرى وليد صالح أنّ ابن تيمية «كان قد طرح نظريته بالفعل [في القسم الأول]، وهذه الآثار إنما تضيف القليل من التوضيح»[(١)]. مما يعني أنّ هذا القسم الأخير ليس بنفس أهمية ومركزية القسم الأول. لم يولِ وليد صالح الكثير من الاهتمام لتحليل هذا القسم الأخير -خاصّة الفصل السادس- لأنّ قوامه الأساسي هو مجموعة من الآثار المنقولة. بيد أنّ هذين الفصلين الأخيرين مهمّان لأنّ العديد من الآثار الواردة فيهما منقولة من الطبري (ت: ٣١٠هـ = ٩٢٣م) ومقدمته لتفسيره. انتقلت الحركة التي تنطلق في التفسير من الآثار المنقولة عن السلف الآن إلى التركيز على الطبري، الذي أعلن ابن تيمية من قبلُ في المقدمة أن تفسيره «أجَلّ التفاسير المسندة وأعلاها قدرًا»[(٢)]. ونجد هنا تحوّلًا فكريًّا من نقد التقاليد المستقرّة إلى البناء على لونٍ آخر من التراث التفسيري الإسلامي، وهو ما وجدته تلك الحركة أسلمَ من الناحية اللاهوتية والفكرية.

(١) وليد صالح، ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدمة التفسير، ص١٧٩.

(٢) ابن تيمية، المقدمة، تحقيق: زرزور، ص٩٠.

ثمة إشارة مهمّة أخرى إلى المقدّمة لدى ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ = ١٣٥١م)، التلميذ المقرّب لابن تيمية، والذي كان على دراية بأعماله المختلفة. في كتابه (مدارج السالكين)، يقول ابن القيم: «وبَعث إليَّ [ابنُ تيمية] في آخر عمره قاعدةً في التّفسير بخطِّه»[(١)]. لم يوضح ابن القيم محتوى هذه الرسالة، لكن العنوان قد يشير إلى ما نعرفه اليوم بـ(المقدّمة)؛ ذلك أن كلمة (قاعدة) المستخدمة في العنوان مشابهة لكيفية إشارة العلماء السابقين إلى المقدّمة، وعلى رأسهم إشارة ابن رشيق المذكورة سالفًا. لكن يظلّ من المحتمل أنّ ابن القيم يشير إلى رسالة أخرى مختلفة تمامًا، أو إلى أجزاء مما نعرفه اليوم بـ(المقدمة). وإنّ إشارة ابن القيم إلى أنّ ابن تيمية أرسل إليه تلك القاعدة «في آخر عمره» و«بخطّ يده»، تعني أنّ المقدمة كُتبت في نهاية مسيرته الفكرية. كما تشير المصادر إلى أن ابن تيمية أَوْلَى اهتمامًا خاصًّا بالقرآن خلال سجنه الأخير[(٢)]، وقد يكون تأليفها المتأخّر وكتابتها في السجن هي الأسباب وراء أنّ تلك الرسالة لا تحمل عنوانًا واضحًا، كما هو الحال مع أعماله المبكّرة[(٣)].

(١) سليمان، (نظرية ابن تيمية)، ص١٩؛ ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، (٢/ ١٣٣٠).

(٢) ابن تيمية، المقدمة، تحقيق: زرزور، ص١٣.

(٣) بيد أنّ المحقق الأول للمقدمة، محمد جميل الشطي، يذكر أنه عثر على نسخة من الرسالة ضمن مجموعة نصوص أخرى مؤرخة بسنة ٧١٢هـ = ١٣١٢- ١٣١٣م، أي في منتصف المسيرة الفكرية لابن تيمية وليس في نهايتها. للمزيد حول هذه المسألة، انظر: Mirza, 'Ibn Taymiyya as Exegete', =

ولكن مع كلّ هذه المتغيرات، فإنّ السِّمَة المستمرّة معنا حتى الآن هي غياب عنوان (مقدمة في أصول التفسير)، وأنّ السابقين لم يكونوا يشيرون إلى العمل بهذا الاسم.

تأتي الإشارة المركزية التالية عند الزركشي (ت: ٧٩٤هـ = ١٣٩٢م)، صاحب الكتاب المركزي (البرهان في علوم القرآن)[١]. كان الزركشي تلميذًا لابن كثير، وكان على دراية بالمناقشات التفسيرية المختلفة المتعلّقة بالتفسير المستند إلى التراث[٢]. يحوي عمله الضخم قسمًا خاصًّا حول التفسير، وآخر اقتبس فيه مباشرة من الفصل الخامس من المقدّمة: «مسألة في أنّ أحسن طرق التفسير؛ أن يفسّر القرآن بالقرآن». نقل الزركشي هذا الفصل بصورة موجزة، متجاوزًا جُمَلًا وكلمات معيّنة؛ وقد ضمّن الأقسام التي يُفترض فيها تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسيره بأقوال الصحابة، لكنه تجاوز القسم التالي الذي يرسم معالم وأُسس علوم القرآن من خلال الاعتماد على الأقوال التفسيرية للتابعين. بدلًا من ذلك، يوجّه الزركشي قُرّاءه إلى أقسام سابقة من عمله، حيث

=

p. 42. وهناك حاجة لمزيد من البحث حول تأريخ الرسالة واستكشاف كيف تتناسب مع انشغال ابن تيمية على مدى مراحل حياته المختلفة بالقرآن وأدبيات التفسير.

(١) الزركشي، البرهان، (٢/ ١٧٥).

(٢) Rippin, art. 'al- Zarkashī', in Encyclopaedia of Islam, 2nd edn. حقيقة أنّ الزركشي كان تلميذًا لابن كثير تعطي مصداقية أكبر لأن يكون الفصل الخامس من المقدّمة من تأليف ابن كثير وليس ابن تيمية.

يناقش كيفية استنباط التفسير ودراسة القرآن. ومثل مَن سبقوه، لا يذكر الزركشي العمل أو العالم الذي ينقل عنه، وبالطبع لم يذكر اسم ابن تيمية ولا (مقدّمة في أصول التفسير). علاوة على ذلك، يشير الزركشي فقط إلى الفصل الخامس من الرسالة، مما يضعنا –مرّة أخرى– أمام احتمالية أنّ أقسامًا مختلفة من الرسالة كانت تُتداوَل بصورة مستقلّة، وليست كرسالة واحدة متماسكة كما نراه في المقدمة المعروفة لدينا اليوم.

على نفس المنوال؛ نجد اقتباسًا مهمًّا من الرسالة في واحدٍ من أشهر كتب علوم القرآن وهو (الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ = ١٥٠٥م)[١]، ولكن مع لمساتٍ خاصّة تجعله مختلفًا عن نقل الزركشي. فمع أنّ الشقّ الأكبر من الإتقان يركّز على أساسيات علوم القرآن –مثل كيفية تجميع النصّ وأسلوبه الفريد– يضمّ كتاب السيوطي قسمًا في النهاية يركز على التفسير. وفي أحد هذه الفصول، المعنون بـ«معرفة شروط وآداب المفسِّر»، يبدأ السيوطي بالاقتباس من الفصل الخامس من المقدّمة، وهو نفس الفصل الذي اقتبس منه الزركشي. لا يذكر السيوطي العمل أو العالم الذي ينقل عنه، بل يبدأ بـ«قال العلماء» ثم يشرع في الاقتباس من الفصل الخامس بإيجاز، متجاوزًا أمثلة معيّنة ومدرجًا تعليقاته وتكييفاته الخاصّة للنصّ[٢].

(١) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن.

(٢) على سبيل المثال، أورَد السيوطي أنّ ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ = ١٢٠١م) ألّف كتابًا حول كيف يفسّر القرآن بالقرآن وكيف يتوسّع في قصص معينة في مواضع أخرى. (السيوطي، الإتقان، ص٧٦٣).

ثم بعد اقتباس بعض آراء الطبري حول التفسير، يعود السيوطي إلى المقدمة، لكنه هذه المرة يذكر ابن تيمية. قبل أن يبدأ الاقتباس، كتب السيوطي: «وقال ابن تيمية في كتابٍ ألّفه في هذا النوع...»؛ ولكنه مثل العلماء السابقين، لم يذكر عنوان الرسالة أو المصنَّف الذي ينقل منه[١]، بل اكتفى باستخدام كلمة (كتاب)، التي يمكن أن تعني مصنَّفًا كبيرًا أو (رسالة). وإنّ استخدام السيوطي لكلمة (كتاب) مختلفٌ عن وصف الـ(قاعدة) الذي استخدمه ابن رشيق، وهذا مؤشّر آخر على أنّ العمل لم يكن له اسم ثابت. ثم يشرع السيوطي في نقل الفصول من الأول إلى الرابع من المقدّمة، وينهي نقله بقوله: «انتهى كلام ابن تيمية ملخصًا، وهو نفيسٌ جدًّا»[٢]. تعليق السيوطي هذا يشير إلى أنّ الفصول الأربعة الأولى من المقدّمة متماسكة وتصلح لأنْ تُداوَل وحدها، وأن تكون مستقلّة دون الحاجة إلى الارتباط بالفصلَيْن الخامس والسادس، وهو ما أكّده جاد الله بقوّة[٣]. وعليه: ضمّن ابن كثير مقدمة تفسيره الفصلين الخامس

(١) من المهم التنبيه إلى أنّ محقّق العمل شعيب الأرناؤوط يلاحظ أن السيوطي ينقل من (مقدمة في أصول التفسير) لابن تيمية، لكن السيوطي نفسه لا يستخدم ذلك العنوان. (السيوطي، الإتقان، ص٧٦٤).

(٢) السيوطي، الإتقان، ص٧٦٧.

(٣) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص٤٥. «انتهى كلام ابن تيمية» يمكن فهمها أيضًا كدلالة على نهاية النقل، أو «هنا ينتهي كلام ابن تيمية».

والسادس، والزركشي نقل الخامس فقط، أمّا السيوطي في (الإتقان) فنقل من الفصل الخامس أولًا، ثم نقل من الأول إلى الرابع. وفي هذه النقولات الثلاثة -التي تعدّ أهم الاقتباسات القديمة من الرسالة- لم ينقل أيٌّ من المؤلِّفين المقدّمة بأكملها كما نعرفها اليوم.

وبالمثل؛ فإنّ تعليق السيوطي في نهاية نقله أنّ كلام ابن تيمية «نفيس جدًّا» يُظهر احترامه لآراء ابن تيمية وأن لها تأثيرًا كبيرًا على عِلْمه. وذهب وليد صالح إلى أنّ السيوطي يطبّق منهج ابن تيمية التأويلي في تفسيره، والذي يعتبره «التجلِّي الوحيد الباقي لنوعٍ جديدٍ من التفسير النقلي، الذي يكتفي فقط بالأقوال التفسيرية المنقولة عن السَّلَف، بلا زيادات، ولا تعليقات، ولا تشقيقات لغوية»[(١)]. كما حاول السيوطي تطبيق منهج ابن تيمية التأويلي في عمله الضخم (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، والذي هو بالأساس موسوعة من الآثار المنقولة حول الآيات القرآنية المختلفة.

علاوة على ذلك، فإنّ نظرة فاحصة لنقل السيوطي تشير إلى أنه ربما كان يستخدم نسخة أقدم من مقدمة ابن تيمية، ذلك أنّ بها أجزاءً محذوفة كثيرة وبها أمثلة لا توجد في النص المعتمد الذي حقّقه عدنان زرزور[(٢)]. فعلى سبيل

(١) وليد صالح، ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدمة التفسير، ص١٨٠.

(٢) ستُناقش هذه الطبعة أكثر فيما يلي.

المثال، في الفصل المتعلّق بالكلام على أنّ اختلاف السَّلَف لم يكن اختلاف تضادّ بالضرورة بل كان كلٌّ منهم «يعبّر عن الشيء بأسماء مختلفة مع اتحاد المسمّى»[١]، قدَّم ابن تيمية مجموعة من الأمثلة، تبيِّن كيف يمكن أن يكون للسيف ولله وللنبيّ أسماء متعدّدة وكلّها تدلّ على مسمّى واحد[٢]. ولكن في نقل السيوطي، لا تظهر هذه الأمثلة، بل يقدّم مثالًا آخر عن اتّباع «الصراط المستقيم»، ويناقش كيف يمكن أن يعني «الصراط» هنا اتّباع القرآن أو الإسلام[٣]. يحتمل أنّ ابن تيمية كتب نسخة أوّلية من النصّ لم تكن تحتوي على جميع الأمثلة المختلفة التي ينقلها السيوطي هنا. ومع ذلك، فإنّ حقيقة أن السيوطي ينقل من ابن تيمية مهمّة؛ لأنها تُظْهر أنّ عمله ذلك كان معروفًا جيّدًا بعد أكثر من قرن من وفاته. علاوة على ذلك، ضمّ السيوطي إلى كتابات ابن تيمية كتابات مفسِّرين بارزين آخرين مثل الزركشي المذكور أعلاه.

هناك اقتباس متأخّر تجده لدى عالِم اللغة مرتضى الزبيدي (ت: ١٧٩١م)[٤]، بعد حوالي ٣٠٠ سنة، يُظهر أنّ أعمال ابن تيمية حول التأويل

(١) وليد صالح، ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدمة التفسير، ص١٧٨.

(٢) ابن تيمية، المقدمة، تحقيق: زرزور، ص٣٨.

(٣) السيوطي، الإتقان، ص٧٦٥. وقارن أيضًا أسفل الصفحة ٧٦٥ مع: ابن تيمية، المقدمة، تحقيق: زرزور، ص٥١.

(٤) لمزيد حول الزبيدي، انظر: Reichmuth, The World of Murtada al- Zabidi.

القرآني أصبحت الآن مفهومة من خلال السيوطي[١]. ففي شرحه لكتاب الغزالي الشهير (إحياء علوم الدين) المسمّى: (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين)، ينقل الزبيدي تقريبًا نصف الفصل الذي عنونه السيوطي بـ«معرفة شروط وآداب المفسِّر» الذي ناقشناه قبل قليل[٢]. أعاد الزبيدي ببساطة نقولات السيوطي من مقدّمة ابن تيمية، والتي تتضمّن ملاحظات من السيوطي نفسه، مثل: «قال ابن تيمية في كتاب ألّفه في هذا النوع...»، وأنّ كلام ابن تيمية «نفيسٌ جدًّا». ويبدو من المرجّح أنّ الزبيدي لم تكن لديه مخطوطة رسالة ابن تيمية ليرجع إليها مباشرة، في الوقت الذي أصبح فيه مصنّف السيوطي حول علوم القرآن منتشرًا على نطاق واسع. وكما سنرى لاحقًا، سيشير النُّسَّاخ الذين يعملون على رسالة ابن تيمية إليها أيضًا من خلال كتاب السيوطي للتعريف بها[٣].

باختصار؛ أهمّ الإشارات والاقتباسات من الحقبة الوسيطة -باستثناء ابن القيم- لا تدرج أيّ عنوان محدّد لرسالة ابن تيمية حول التفسير، فبعضهم لا

(١) أحمد الشمسي، إعادة اكتشاف التراث الإسلامي، ص٢٥٦. يلاحظ الشمسي أن الزبيدي اعتقد أن ابن تيمية كان أحد «كبار علماء الإسلام».

(٢) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، (١/ ٥٣٧- ٥٤٠).

(٣) يلاحظ جاد الله أيضًا أن العلماء اللاحقين بدؤوا يستشهدون برسالة ابن تيمية من طريق السيوطي. (ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص٨٠).

يذكر ابن تيمية باعتباره مؤلِّف هذه الرسالة أصلًا، وآخرون يقولون ببساطة إنه ألّف كتابًا في الموضوع. كما أنهم يقتبسون أجزاء مختلفة من الرسالة، مما يشير إلى أنّ الأقسام المختلفة كان من الممكن تداولها بصورة مستقلّة بعضها عن بعض. وبشكلٍ خاصّ: نقل ابن كثير والزركشي والسيوطي الفصلَ الخامس دون ذِكْر مؤلّفه، مما يشير إلى أنّ الفصل -الذي يقدّم أفضل وأبسط تعبير عن منهجية التفسير- كان يمكن تداوله وقراءته بشكلٍ مستقلّ عن بقية الرسالة. وبالمثل، فإنّ تعليق السيوطي: «انتهى كلام ابن تيمية»، بعد اقتباس الفصول من الأول إلى الرابع يشير إلى أنّ هذا القسم الأول كان يمكن عدّه رسالة مستقلة[(١)]. ومع ذلك، فإنّ كتابات ابن تيمية حول التفسير أثّرت بوضوح على اثنين من أبرز المفسِّرين المتمسِّكين بالتفسير بالمأثور في العصور الوسطى: ابن كثير والسيوطي. علاوة على ذلك، فإن أهمّ مدخل إلى علوم القرآن في الحقبة الوسيطة -(الإتقان في علوم القرآن)- نقل من رسالة ابن تيمية، مما يُظهر تأثيره على هذا النوع. أمّا الاقتباسات اللاحقة فإنها ستشير إلى العمل من خلال (الإتقان) الذي -كما هو موضح أعلاه- تضمّن ملخّصًا للفصول الأربعة الأُولى من رسالة ابن تيمية. وسنجد أنّ عدم وجود عنوان واضح للرسالة، والطبيعة الغامضة لبنيتها تظهر مرة أخرى في تحليل المخطوطات المختلفة.

(١) عبارة: «انتهى كلام ابن تيمية» يمكن فهمها أيضًا على أنها «نهاية النقل».

تحليل المخطوطات:

رغم الحضور القويّ للمقدّمة -سواء على مستوى الاقتباس منها أو التعليق عليها بكثرة- إلا أنّ مخطوطاتها المختلفة لم تحظَ بفحصٍ دقيقٍ، وهي المسألة التي أثارها وليد صالح في تحليله للرسالة[١]. وهذه مسألةٌ محورية؛ لأنّ تحليل المخطوطات المختلفة يسمح لنا ببناء تصوّر دقيق حول كيفية فهم أعلام التراث القديم الرسالة، وكيفية نَسْخها ونشرها[٢]. عندما نبدأ النظر في مخطوطات المقدّمة، فإنّ أوّل ما نقف عليه هو قلّة المخطوطات التي وصَلَتْنا عنها، مما يعني أنّ الرسالة لم تكن مدروسة على نطاق واسع، ولم تكن جزءًا من المناهج المدرسية[٣]. فعلى سبيل المثال، أهم فهارس المخطوطات المتعلّقة بالقرآن وأكثرها موثوقية (الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي

(١) «من المهمّ التأكيد على أنه لم تُجْر دراسة مستفيضة للتقليد المخطوطي لهذه الرسالة». وليد صالح، ابن تيمية وصعود الهرمنيوطيقا الراديكالية، ص١٢٦.

(٢) لمزيد حول تاريخ نسخ ونقل ونشر المخطوطات في دمشق إبان الحقبة الوسيطة، انظر: Hirschler, A Monument to Medieval Syrian Book Culture. أتفق مع ما صرح به هيرشلر في الخاتمة أن: «الكتب التي تقبع على رفوف المكتبة الحديثة اليوم تحكي قصصًا متعدّدة الأوجه عن الإنتاج والاستخدام والملكية والوقف». (ص١٦٥).

(٣) على سبيل المثال، يلاحظ كفاية الله أن «الفهرس الشامل» يسرد ٨٤٣ مخطوطة لـ(الكشاف) للزمخشري و٧٣ حاشية ومختصرًا عليه (كفاية الله، الكشاف للزمخشري، ص٤). هذه الأرقام تفوق بكثير القلّة القليلة من المخطوطات التي بأيدينا لمقدّمة ابن تيمية.

المخطوط، علوم القرآن: مخطوطات التفسير) لا نجد فيه ذِكْرًا إلا لمخطوطتَيْن فقط يحتمل أنهما للرسالة، وكلاهما معنون بـ(قاعدة): (قاعدة في التفسير)، و(قاعدة في القرآن)[١]. مرة أخرى: لا نجد كلمة (مقدّمة)، والفهرس كلّه لا يدرج أيّ عمل بعنوان: (مقدمة في أصول التفسير) ضِمن أعمال (ابن تيمية).

كان من حُسْنِ حَظِّي أن تمكّنْتُ من الوقوف على إحدى المخطوطات المذكورة في هذا الفهرس ودراستها: (قاعدة في التفسير)، وهي المخطوطة رقم ٢٩٩، في المكتبة التيمورية[٢]. يبدو أنّ تلك المخطوطة لم تكن موضع اشتغال وتحقيق في أيّ من الطبعات النقدية الحديثة، مع أنّها تحتوي على بعض السِّمَات الاستثنائية والتي لا توجد في الطبعات المنشورة[٣]. **أولًا**: نجد في الصفحة الأُولى العنوان: «قاعدة في التفسير»، وهو ما يتوافق مع إشارة ابن رشيق إلى عنوان الرسالة. بعد ذِكْر العنوان، يتابع الناسخ وصف العمل في السطر الآتي: «يظهر أنها لأحمد ابن تيمية وهي التي لخّصها السيوطي في الإتقان». من المدهش أنّ الناسخ ليس متأكّدًا تمامًا من هوية المؤلِّف، ويبني معرفته به على «ما يظهر» في كتاب السيوطي الذي حظي بشهرة وانتشار واسع.

---

(١) الفهرس الشامل، ص٣٦٤.

(٢) ابن تيمية، قاعدة في التفسير، مخطوطة رقم ٢٩٩.

(٣) يحتج جاد الله أن هذه المخطوطة تقدِّم مختصرًا للمقدمة؛ لأنها أُخذت من الشكل المختصر لمخطوطة (الكواكب). (ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص٣٢).

وكما ذُكر أعلاه، يذكر السيوطي اسم ابن تيمية قبل أن يبدأ سرد ملخّص رسالته، وهي الإشارة التي ربما عرف الناسخ منها هوية المؤلِّف وموضوع الرسالة. ومثلما فعل الزبيدي، يشير الناسخ إلى رسالة ابن تيمية فقط من طريق كتاب السيوطي، ثم يستمر قائلًا أنّ هذه الرسالة «قد نُقلت من نُسخة في دار الكتب الأزهرية، ضِمن أحد أجزاء الكواكب». هنا نعلم أنّ رسالة ابن تيمية كانت جزءًا من مجموعة أكبر من المخطوطات، ولم تكن موجودة كعمل قائم بذاته[١]. ومثل رسائل ابن تيمية القصيرة الأخرى، لم يكن النصّ يُنسخ مفردًا وينقل بكثرة، بل كان جزءًا من مجموعة نصوص أخرى. بالإضافة إلى ذلك، يبدو أن النصّ خرج من مصر، حيث قضى ابن تيمية سبع سنوات.

ثانيًا: يحتوي النصّ على مقدّمة مختلفة عن المقدّمة المعتمدة والمتداولة الآن، والتي لها طابع شخصي بصورة أكبر، ويبدأ فيها ابن تيمية بالثناء على الله والصلاة والسلام على النبي محمد، ثم يشرع في الحديث عن سبب كتابته للرسالة[٢]. أمّا في مخطوطة ٢٩٩، فالمقدمة منسوخة من بداية تفسير ابن كثير، والتي تتحدّث عن عالمية القرآن ورسالة النبي محمد[٣]. ولكن فيما سوى

---

(١) للمزيد حول كيفية نسخ النصوص معًا، انظر: Bori, 'Istanbul, Süleymaniye Kütüphanesi MS Sehid Ali Pasa 1553'.

(٢) انظر: وليد صالح، ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدمة التفسير. لمزيد من المناقشة حول هذه المقدمة.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/ ٤). وجاد الله يقدّم هذه الملاحظة. (ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص٣٦).

ذلك، تتطابق المخطوطة مع النسخة المتداولة والمعروفة الآن، مع وجود أخطاء أو سقطات عارضة. والأهمّ من ذلك، أنّ تلك المخطوطة تحتوي على الفصول من الأول إلى السادس، مما يُظْهر أنّ الرسالة كانت في تلك المرحلة تُتناقل بصورة متماسكة عن ذي قبل، مع اتحاد الأقسام التي كانت متفرّقة فيما سبق[١]. وكما نُوقش أعلاه، تشير الاقتباسات الوسيطة إلى أنّ العلماء كانوا يتداولون أجزاء مختلفة من الرسالة بشكلٍ مستقلّ بعضها عن بعض. وللأسف، لا يحمل النصّ اسم الناسخ أو تاريخ النّسخ، ولكن لا بدّ أنه نُسخ في وقتٍ ما بعد أن كتب السيوطي (ت: ٩١١هـ = ١٥٠٥م) (الإتقان)؛ لأنه مذكور في صفحة العنوان[٢].

هناك مخطوطة أخرى يصفها صلاح محمد خيامي في فهرسه لمخطوطات علوم القرآن والتفسير في المكتبة الظاهرية بدمشق، المدينة التي عاش فيها ابن تيمية معظم حياته، وتوفي بها. تعود المخطوطة إلى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وهو ما يعكس أنّ الرسالة كانت تُنسخ حتى العصر الحديث للطباعة. هذه المخطوطة تحمل أيضًا عنوان «قاعدة»[٣]، ووصف

---

(١) مع ذلك، يذهب جاد الله إلى أن هذه النسخة كانت مختصرًا، وحُذف اسم ابن كثير باعتباره مؤلِّف الفصلين الأخيرين. وبالتالي فهي تعزو هذين الفصلين خطأً إلى ابن تيمية. (ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص٣٢).

(٢) للأسف، لم أقف في المصادر الخارجية على إشارة تحدّد تاريخ تأليف السيوطي للإتقان.

(٣) الخيامي، فهرس المخطوطات، (٢/ ٢٣٧). يكتب المحقق الخيامي العنوان: «قاعدة في تليين...»؛ بيد أن جاد الله يذهب إلى أن العنوان الصحيح يجب أن يكون «قاعدة في تبيين...»، بناءً على مقارنة =

خيامي لبداية ونهاية المخطوطة يكشف أن مقدمتها هي المقدمة المعتمدة الآن والموجودة في الطبعات النقدية، ولكنها تحتوي فقط على الفصول الأول والثاني وبداية الثالث[١]. من جديد: لا وجود لعنوان «المقدمة»، والمخطوطة مشابهة لتلك الموصوفة سابقًا، حيث لا تحتوي على الفصول الستة الكاملة للرسالة.

للأسف، لم أتمكن من تحديد موقع المخطوطات الأخرى المستخدمة في الطبعات النقدية المختلفة، مما يشير إلى أنها كانت على الأرجح نُسَخًا خاصة[٢]، لكنَّ المحقِّقين المعاصرين اجتهدوا وسعهم وقدّموا تعليقات مفيدة عند وصف المخطوطات التي عملوا عليها. نُشرت المقدّمة لأول مرّة في ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م على يد مفتي الحنابلة في دمشق، محمد جميل الشطّي، الذي ذكر أنه وجد مجموعة من المخطوطات التي تضمّنت المقدمة[٣]. تعليقات الشطي هنا تشير -مرّة أخرى- إلى أنّ المقدمة لم تكن نصًّا مستقلًّا

=

مختلف المخطوطات. (ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص٣٠). وأتفقُ مع جاد الله أن العنوان: «قاعدة في تليين...» من الواضح أنه تصحيف أو قراءة خاطئة للمخطوطة.

(١) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص١٢٨.

(٢) يلاحظ جاد الله أيضًا أنه لم يتمكن من العثور على المخطوطات التي استخدمها الشطي وزرزور. (ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص٢٩).

(٣) هذه المخطوطة لا يمكن أن تكون المخطوطة رقم ٢٩٩ المذكورة أعلاه لأنها تذكر اسم السيوطي الذي عاش بعد ذلك بكثير. (ابن تيمية، المقدمة، تحقيق الشطي، ص١).

يُتداول وحده، بل كانت تُتداول إلى جانب نصوص أخرى. ومع ذلك، يوضح الشطّي أنّ هذه المخطوطة كان بها أخطاء كثيرة بالإضافة إلى سَقْط في قسمين؛ ولذلك تواصل مع الكُتبي المجدّد الشيخ طاهر الجزائري (ت: ١٣٣٨هـ = ١٩٢٠م) الذي زوّده بمخطوطة أخرى، ولكنها احتوت أيضًا على أخطاء وتحريفات[١]. استخدم الشطّي هذه المخطوطة الإضافية لإكمال السقط ومعالجة الأخطاء والتحريفات[٢]. ولم يذكر الشطّي اسم أو رقم فهرس المخطوطة التي استخدمها، مما يشير إلى أنها كانت مخطوطة شخصية وليست من مكتبة مخطوطات. ثم ذكر المحقّق محبّ الدين الخطيب (ت: ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م) لاحقًا أن الشطِّي عثر على المخطوطة في خزانة بيتهم القديم[٣]؛ ومع ذلك، فهو لا يصف صفحة العنوان من المخطوطة والتي هي العُمدة في تحديد الاسم القديم، وكيف كان يُفهم. بيد أن تعليقات الشطي تتفق مع الملاحظات المستفادة من «الفهرس الشامل» الذي ذكرناه آنفًا، والتي تفيد بأن هذه الرسالة ليس لها سوى عدد قليل من المخطوطات.

---

(١) للمزيد حول سيرة طاهر الجزائري، انظر: El Shamsy, Rediscovering the Islamic Classics, p. 158.

(٢) ستُناقش جهود الشطي بشيء من التفصيل فيما يلي.

(٣) ابن تيمية، المقدمة، تحقيق: محبّ الدين الخطيب، ص٣. يذكر جاد الله أيضًا أن هذه المخطوطة كانت من مكتبة الشطي. (ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص٦).

أمّا المحقّق التالي الذي تحدّث بإسهاب عن مخطوطات المقدّمة[١] فكان عدنان زرزور، الذي أعاد نشر العمل في ١٣٩١هـ= ١٩٧١م بعد العودة إلى عددٍ من المخطوطات والطبعات المختلفة المتاحة[٢]. في مقدّمته، يوضح زرزور أنه عمل بشكلٍ أساسي على مخطوطة واحدة، ثم استكمل المواضع المستغلقة وغير الواضحة من طبعات سابقة، خاصّة طبعة الشطّي[٣]. وهكذا، من النظرة الأولى، يبدو أن طبعة زرزور استندت إلى ثلاث مخطوطات لأنّ زرزور استخدم واحدة، والشطي استخدم اثنتين؛ وهو الاستنتاج الذي وصل إليه وليد صالح بعد تحليل مقدّمة زرزور، مؤكّدًا أن «طبعة زرزور في مجموعها استخدمت ثلاث مخطوطات»[٤]. لكن الأمر اللافت للنظر أنّ كليهما أورد في مقدّمة التحقيق نفس الصورة من الصفحة الأولى للمخطوطة التي عملَا عليها، وهما متطابقتان تمامًا[٥]. لذلك، يبدو من المرجّح أنّ زرزور لم يعمل على

(١) ستُنشر المقدمة مرة أخرى في ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥- ١٩٦٦م، لكن المحقّق محبّ الدين الخطيب لا يتحدّث عن المخطوطات التي عمل عليها. (ابن تيمية، المقدمة، تحقيق: الخطيب).

(٢) سيواصل زرزور الكتابة حول آراء ابن تيمية في التفسير المجازي أو التأويل (زرزور، التأويل عند ابن تيمية في سياقه التاريخي).

(٣) ابن تيمية، المقدمة، تحقيق: زرزور، ص٢٣.

(٤) وليد صالح، ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدمة التفسير، ص١٨٨.

(٥) قارن طبعة زرزور، ص٣٩، مع طبعة الشطي ص٣. يلاحظ جادُ الله أيضًا أن زرزور والشطّي استخدمَا نفس المخطوطة. (ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص٦٩- ٧٠).

مخطوطة جديدة كما كان يُعتقد سابقًا، بل استخدم نفس المخطوطة التي استخدمها الشطّي، مما يجعل العدد الإجمالي للمخطوطات المدروسة اثنتين بدلًا من ثلاث، وتوضح تعليقات زرزور نفس الملاحظة المؤكّدة سابقًا وهي شُحّ المخطوطات الباقية لهذا العمل[١].

تفطّن زرزور في مقدّمته إلى التباين في العناوين بين الطبعة المنشورة والمخطوطة التي حصل عليها. ويُثير زرزور مسألة جوهرية مفادها أن المخطوطة التي حقّقها لم تحمل عنوان (مقدّمة في أصول التفسير)، بل كانت معنونة بـ«قاعدة عظيمة القدر شريفة في تبيين ما يُعين على فهم القرآن وتفسيره ومعرفة معانيه». هذا العنوان الأطول والأكثر تفصيلًا مستمدّ من الجُمَل الأولى للرسالة، وهو أدقّ في وصفه للرسالة بأنها تتناول كيفية فهم القرآن وتقييم تراثه التفسيري، وليستْ مجرّد (مقدمة). فالعمل في حقيقته حِجاجٌ حول كيفية فهم القرآن وليس مسحًا تمهيديًّا موجّهًا للمبتدئين حول أدبيات التفسير ومبادئ التأويل.

ثم يوضّح زرزور أنه لا يوجد في المخطوطة ما يشير إلى عنوان (مقدمة في أصول التفسير)، مرجّحًا أن المحقّق الأول، محمد جميل الشطّي، عَنْوَن

(١) للأسف، وبشكل مماثل للشطي، لا يذكر زرزور رقم الفهرس أو رقم واسم المخطوطة، مما يجعل من الصعب تحديد موقع النصّ.

الرسالة بناءً على العبارة الافتتاحية لابن تيمية؛ إِذْ يستهل ابن تيمية الرسالة بالإشارة إلى أنّ بعض إخوانه طلبوا منه أن يكتب لهم (مقدّمة) تتضمّن قواعد كلية، تُعِين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه. وعليه، لا يرى زرزور إشكالًا في تسمية الرسالة «مقدمة في قواعد التفسير». وهنا يستخدم زرزور كلمة «قواعد» في العنوان، مستمدًّا إياها من عبارة ابن تيمية الافتتاحية، بدلًا من «أصول» الموجودة في طبعة الشطّي. ومع ذلك، انتهى زرزور إلى اعتماد عنوان الشطّي في نشرته للرسالة، رغم أنه أفرد حيِّزًا في مقدّمته لمناقشة العنوان والتعبير عن تحفّظاته بشأنه[١].

في أحدث طبعة للمقدمة، يُشير المحقق سامي بن محمد بن جاد الله أيضًا إلى التباين في العناوين، عازيًا استخدام (مقدّمة) إلى الشطّي، ومسلّطًا الضوء على الاقتباس المذكور أعلاه من نشرة زرزور بأنه لا يوجد في تاريخ المخطوطة ما يشير إلى اسم (المقدّمة)[٢]. وقد خصّص قسمًا ناقش فيه اسم الرسالة،

(١) سيواصل زرزور في النهاية كتابة مقدّمته الخاصّة حول علوم القرآن والتفسير، حيث يخصّص قسمًا لتطوّر هذا النوع المسمّى «علوم القرآن». في جميع أنحاء هذا العمل، يقتبس زرزور من ابن تيمية وطبعته المحقّقة لمقدّمته. بيد أنّ ابن تيمية لن يلعب دورًا تأسيسيًّا في بناء تصوّر زرزور الخاصّ لحقل التفسير؛ لأنه انجذب إلى المحاولات اللغوية والأدبية الحديثة لفهم القرآن؛ ثم يضيف زرزور قسمًا «علوم القرآن» حول التفسير البياني، وآخر حول (في ظلال القرآن) لسيد قطب. (زرزور، علوم القرآن، ص٤٠٨). وستُعاد طباعة مقدمة زرزور تلك مرات عديدة وفي طبعات مختلفة.

(٢) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص٩.

مؤكّدًا أن عنوان (القاعدة) ينبغي أن يُفهم على أنه من وضع ابن تيمية ما لم يَقُم دليلٌ على خلاف ذلك. ومحور حجة جاد الله أنه يقارن عنوان (القاعدة) بأسماء أعمال ابن تيمية الأخرى، ويلاحظ أن ابن تيمية كان يبدأ عناوين رسائله بـ(قاعدة) إذا كانت تحتوي على عدّة فصول حول موضوع واحد. علاوة على ذلك، يتضمّن العنوان كلمة «عظيمة» التي تعكس ميله لاستخدام «عظيمة» في عناوينه، وهو على الأرجح فعل ذلك ترغيبًا للقرّاء حسب رؤية جاد الله. كما كان لابن تيمية عادة استخدام عناوين وصفية لأعماله، حتى لو كان ذلك يعني أن يصبح العنوان طويلًا (ومستثقلًا)[١]. وهكذا، يرى جاد الله أنه لا بأس عند إعادة نشر الرسالة وضع اسمها الأصلي على الغلاف إلى جانب الاسم الذي اشتُهرت به في نهاية المطاف، وهو ما طبّقه في تحقيقه. وعلى خلاف الطبعات الأخرى، يكتب جاد الله عنوان: «مقدمة في أصول التفسير» بشكل بارز على الغلاف، ولكنه يُدرج العنوان الذي استخدمه زرزور كعنوان فرعي: «وهي: قاعدة عظيمة القدر شريفة في تبيين ما يُعين على فهم القرآن وتفسيره ومعرفة معانيه». ورغم اعتقاد جاد الله أن عنوان (القاعدة) من وضع ابن تيمية وموجود في المخطوطات المختلفة، إلا أنه لم يستطع الفكاك من اسم (المقدّمة)؛ لأن هذا هو الاسم الذي تُعْرَف به الرسالة الآن.

(١) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص١٠.

لم يتمكّن جاد الله أيضًا من تحديد الموقع الدقيق للمخطوطات التي استخدمها الشطّي وزرزور، ولكن من خلال مقارنة تفصيلية للمخطوطات، أكّد أنّ الشطّي اعتمد على نُسخة من النصّ كانت في الواقع مختصرًا وليست هي النصّ الأصلي[١]. ويحتجّ جاد الله بأنّ هذا المختصر يحتوي على الفصول من الأول إلى السادس مجتمعة، ويُقدّم المخطوطة بأكملها على أنها من تأليف ابن تيمية. ويذهب إلى أنّ المخطوطة رقم ٢٩٩ المناقشة سالفًا منسوخة من هذا المختصر؛ لأنها لا تتضمّن مقدّمة ابن تيمية حول سبب كتابته للرسالة، وتُقدّم الفصول من الأول إلى الرابع ومن الخامس إلى السادس كنصّ كامل. والأهمّ من ذلك، تمكّن جاد الله من العثور على المخطوطة الأصلية التي استند إليها المختصر، ووجد عبارة: «يقول ابن كثير» في الفصل السادس. لذلك ذهب جاد الله في تحقيقه إلى القول بأنّ الفصلين الخامس والسادس من تأليف ابن كثير، وأنّ المحققين الأوائل أخطؤوا باعتبارهما جزءًا من رسالة ابن تيمية. وحُجّة جاد الله مُحكمة ودقيقة ومبنيّة جيّدًا، ومن شأنها أن تحلّ مشكلة عدم التناسق بين الفصول من الأول إلى الرابع وبين الفصلين الخامس والسادس. كما أنها تحلّ لغز عدم إشارة ابن كثير إلى ابن تيمية في مقدّمة تفسيره، رغم أنه

(١) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص٣٣. وعلى وجه الخصوص، يذهب إلى أن الشطي اعتمد على نسخة مختصرة التي كانت ضمن مجموعة (الكواكب) المذكورة أعلاه.

يشير إليه عدّة مرات داخل التفسير. من المنطقي أن يجمع النُّسَّاخ اللاحقون رسالة ابن تيمية ومقدّمة ابن كثير معًا، حيث إنّ كليهما يتناول كيفية تفسير القرآن. وربما تكون المختصرات اللاحقة قد جمعت النصوص دون إيلاء اهتمام دقيق لتحديد هوية مؤلِّفيها. ومع ذلك، يلزم إجراء المزيد من البحث في المخطوطات لإثبات ادّعاءات جاد الله، خاصّة في تحديد موقع المخطوطات التي استخدمها الشطّي وزرزور في طبعاتهما.

وخلاصة القول، لا تحمل أيٌّ من المخطوطات المدروسة كلمة (مقدّمة) في العنوان، وغالبًا ما تظهر الرسالة باعتبارها جزءًا من مجموعة نصوص. ويبدو أنّ الرسالة لم تُنسخ ولم تُنشر بشكلٍ مستقلّ، ولم يبقَ منها سوى عدد قليل من المخطوطات، مما يؤكّد ملاحظة وليد صالح بأنّ «المدرسة لم تعتمد» الرسالة قطّ، وأنها لم تكن نصًّا تعليميًّا في الحلقات الدراسية[١]. بيد أنّنا نرى في بعض المخطوطات المتأخّرة أنّ الأقسام من الأول إلى السادس تُنسخ معًا، وهو ما يوحي بفكرة النصّ الموحّد. في مرحلةٍ ما -سواء من ابن تيمية نفسه أو النُّسَّاخ اللاحقين- جُمع النصّ بالشكل الذي نعرفه اليوم. وكما سنستكشف في القسم التالي، فإنّ الانتشار الواسع النطاق وذيوع النصّ لم يحدث إلا في العصر الحديث.

(١) وليد صالح، مداخلات أولية، ص٤٦٦.

الطباعة الحديثة لمقدمة ابن تيمية:

في كتابه (إعادة اكتشاف التراث الإسلامي: كيف غيَّرت ثقافة الطباعة والتحقيق عالمنا الفكري)[١]، يخلص أحمد الشمسي إلى أننا «نرى الماضي الكلاسيكي بعيون محقِّقي القرنَيْن التاسع عشر والعشرين؛ وهي حقيقة يُعَدّ إدراكها ضروريًّا لتكوين رؤية نقدية مستنيرة حقًّا تجاه هذا التراث»[٢]. لقد أصبحت مقدمة ابن تيمية في العصر الحديث جزءًا أصيلًا من (التراث) وأحد (الكتب العظيمة) في الإسلام، ولكن لفهم كيفية حدوث هذه العملية، يجب أن نُولِي اهتمامًا للدّور الحيوي الذي اضطلع به محقّقوها وكيف شكّلوا الوجود الحديث للرسالة.

كما نُوقش آنفًا، نُشرت المقدّمة لأول مرّة في ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م على يد مفتي الحنابلة في دمشق، محمد جميل الشطّي، الذي ذكر أنه عثر على مجموعة من الرسائل، كانت المقدّمة جزءًا منها[٣]. بيد أنّ ما تغفله الدراسات هو شرح الشطّي لسبب رغبته في تحقيق الرسالة ونشرها. فكما ذُكر سابقًا، يوضح الشطّي أنه عمل على مخطوطة واحدة، كان بها أخطاء كثيرة وسقط في موضعين[٤]؛ لذا

---

(١) هذا الكتاب مترجم للعربية عن مركز نهوض، ٢٠٢٢م، ترجمة: محمود ميموني، أحمد العدوي، وعن هذه الترجمة ذكرت عنوان الكتاب، وكذلك النقول الواردة عن الكتاب في النصّ. (المترجم)

(٢) أحمد الشمسي، إعادة اكتشاف التراث الإسلامي، ص٣٢٤.

(٣) لمزيد حول النشاط العلمي للشطي، انظر: Weismann, Taste of Modernity, p. 232.

(٤) يشير جاد الله إلى أن هذا السقط الأخير تضمّن الفصلَيْن الخامس والسادس من الرسالة، مما يدعم حجته أنه من الخطأ نسبة الفصلين إلى ابن تيمية. اعتمد الشطي وزرزور على نسخة مخطوطة من =

تواصل مع الكُتبي الشيخ المجدّد طاهر الجزائري[١] الذي كان له اهتمام خاصّ بمؤلَّفات ابن تيمية، وتحديدًا أعماله حول القرآن[٢]، ويتّضح ذلك من أنه بعدما أدرج محققَا (آثار شيخ الإسلام ابن تيمية) -محمد عزير شمس وعليّ بن محمد العمران- قائمة مؤلَّفات ابن تيمية التي كتبها ابن رشيق والتي ناقشناها من قبل، أشارَا إلى أنّ الشيخ طاهر الجزائري هو مَن نسخها حتى نهاية القسم الخاصّ بالقرآن. وفي تحقيقهما لمخطوطة ابن رشيق، أوردَ المحقّقان تعليقات الجزائري في الحواشي، حيث يذكر علمه حول نشر أو طباعة أعمال معيّنة لابن تيمية. تُظهر هذه الملاحظات أن الجزائري كان له اهتمام شديد بكتابات ابن تيمية، ولكنه غالبًا ما كان يترك للآخرين تولّي تحقيقها وطباعتها ونشرها وتوزيعها خشية التعرّض للعقاب[٣]. وكما يوضح الشمسي[٤]: «كان اسم ابن

=

المقدمة تتضمّن فقط الفصول من الأول إلى الرابع، وليس من الأول إلى السادس. (ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: جاد الله، ص٢٥).

(١) للمزيد حول حياة وعمل طاهر الجزائري، انظر: أحمد الشمسي، إعادة اكتشاف التراث الإسلامي، ص٣١٤- ٣٤٥. .Weisman, Taste of Modernity, pp. 282–291,

(٢) يلاحظ وايزمان أن الجزائري «رسّخ نفسه كأحد كبار الكتبيين العرب في عصره». (Weismann, Taste of Modernity, p. 286).

(٣) ابن رجب الحنبلي، آثار، (٨/ ٢٨٤).

(٤) أحمد الشمسي، إعادة اكتشاف التراث الإسلامي، ٢٦٧. وبالمثل يلاحظ وايزمان أن الجزائري «انغمس في كتب ابن تيمية التي وجدها في المكتبة الظاهرية، وفور أن أدرك قيمتها للصراع ضد النظرة

=

تيمية في دمشق -أيام الجزائري- لا يزال ملطّخًا بوصمة كانت تجعل المناقشة العامة لآرائه على نحوٍ منطقي في عداد المستحيلات آنذاك. لذا فقد نَسَخ الجزائرى مُصنّفاته وباعها بأبخس الأثمان لباعة الكتب المخطوطة المحليين توسلًا لنشر أفكار ابن تيمية الحقيقية على نطاق أوسع؛ ومع ذلك، لم ينشط الجزائري لطباعة أيٍّ من أعمال ابن تيمية بنفسه، بل نشط لهذه المهمة معاصروه الأصغر سنًّا».

في نهاية النسخة التي كتبها بخطّه لأعمال ابن تيمية التفسيرية، علّق الجزائري: «وهذا الذي أردنا نقله الآن لغرض، حُرّر في ليلة ٢٦ رمضان سنة ١٣١٨ (١٧ يناير ١٩٠١)، ولله الحمد»[(١)]. ومع أن (الغرض) هنا غير واضح، فربما يكون الجزائري قد نسخ هذا الجزء من الرسالة لمساعدة الشطّي في العثور على مخطوطة ثانية للمقدّمة. فقد نسخ الجزائري القسم المتعلّق بالتفسير من قائمة أعمال ابن تيمية في ١٣١٨هـ = ١٩٠١م، وهي نفس السَّنَة التي ذكر الشطّي أنّ الجزائري زوّده فيها بمخطوطة المقدّمة (انظر أدناه). وسواء نشط الشطي لتحقيق الرسالة أم لا، تُظهر تعليقات الجزائري أنه كان يبحث بنهمٍ عن أعمال

=

الضيقة لصحيح الدين، بدأ توزيع ما نسخه منها بيده بأسعار زهيدة ودون ذِكْر مؤلِّفها». (Weismann, Taste of Modernity, p. 285).

(١) ابن رجب الحنبلي، آثار، (٨/ ٢٩٤).

ابن تيمية المتعلّقة بالقرآن. وحقيقة أنه تمكّن من الحصول على نسخة من مقدّمة ابن تيمية -رغم قلّة النُّسَخ المتاحة- تكشف أنه كانت لديه معرفة عميقة بمخطوطات تراث ابن تيمية وأماكن وجودها المختلفة. وبالمثل؛ ذكر الجزائري في كتابه (التذكرة)، تحت قسم «ما يتعلق بتفسير الطبري»، رسالة ابن تيمية بعنوان «قاعدة في أصول التفسير»، ويُتبع العنوان بقوله: «لخّصها السيوطي من كلام تقي الدين [ابن تيمية] وذكرها في الإتقان [في علوم القرآن]»[(١)]. مرّة أخرى، نرى أنّ الرسالة يشار إليها من طريق كتاب السيوطي الشهير، ولم تكن معروفة حتى للجزائري نفسه باسم المقدّمة[(٢)].

يروي الشطّي أنه حصل على المخطوطة من الجزائري في ١٣١٨هـ = ١٩٠٠- ١٩٠١م، ولكنه لم ينشر العمل إلا في ١٣٥٥هـ= ١٩٣٦م[(٣)]. واللافت للنظر هنا هو الفجوة الزمنية الكبيرة بين العثور على المخطوطات ونشر العمل

(١) الجزائري، تذكرة، (٢/ ٨٨٧).

(٢) يقدّم محقّق تذكرة الجزائري، محمد خير رمضان يوسف، تعليقًا رائعًا في الحاشية: «لعلّ الذي يقصده هو (مقدمة في أصول التفسير) لابن تيمية التي حققها عدنان زرزور ونُشرت في الكويت». هذه الملاحظة تُظهر بصورة مثالية التباين بين كيف تعرّف محققو وعلماء أوائل القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين على عمل ابن تيمية، ففي حين كان السابقون يعتبرون العمل (رسالة) يشيرون إليها من طريق ذِكْر السيوطي لها في (الإتقان)، نرى المتأخرين يعاملونها كعمل مستقلّ حقّقه عدنان زرزور.

(٣) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق الشطي، ص١.

مطبوعًا ومحققًا؛ فالرسالة قصيرةٌ نسبيًّا ولم تكن لتستغرق وقتًا طويلًا في التحقيق، ولكن ربما تكون هناك اعتبارات أخرى أخّرت نشرها طوال هذه المدة، من ذلك مثلًا: حقيقة أنّ أعمال ابن تيمية آنذاك كانت لا تزال غير مقبولة بصورة كاملة لدى التيار السائد، وأنّ تمويل النشر والطباعة لم يكن متاحًا دائمًا. ولتأكيد هذه النقطة الأخيرة، يُعرب الشطّي في نهاية مقدّمته عن شُكْره البالغ للناشرين في (دار الآثار) لطباعة الرسالة على نفقتهم، كما تتضمّن صفحة العنوان العبارة البارزة في الأعلى: «مطبوعات دار الآثار الوطنية بدمشق». ومن المهمّ هنا أن دار نشر وطنية هي التي طبعت الرسالة، وليست مطبعة (سلفية) أو خليجية؛ فهذا سيأتي لاحقًا[١]. فمع أن ذِكْر ابن تيمية عادة ما يقترن بالدولة السعودية و(الوهابية) و(السلفية)، إلا أنّ الناشرين الأوائل للمقدّمة كانوا من الشام، وكانوا مدفوعين باهتمامهم بالحفاظ على التراث الأدبي الوطني[٢].

علاوة على ذلك، فإنّ تاريخ النشر المطبوع ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م يُعَدّ متأخرًا نوعًا ما مقارنة بطباعة العديد من كتب (التراث) الإسلامية والكتب المدرسية. يوضح وليد صالح أنّ «تاريخ الطباعة والنشر في القرن التاسع عشر

(١) للمزيد حول مصطلح السلفية وتطوّرها في القرن العشرين، انظر: Lauzière, The Making of Salafism. وانظر أيضًا هذا المقال حول أنواع السلفية المختلفة وكيف فُهمت تاريخيًّا: Haykel, 'On the Nature of Salafi Thought and Action'.

(2) Pink, Muslim Qur'ānic Interpretation Today, p. 61.

كان استمرارًا لهيمنة المدرسة في مجال الدراسات القرآنية»[١]. فعلى سبيل المثال، كان تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل) وحواشيه المختلفة قد طُبعت بالفعل في الفترة من منتصف القرن التاسع عشر إلى أواخره؛ لأنها كانت أجزاءً أساسية من منهج المدارس العثمانية[٢]. وحقيقة أنّ مقدّمة ابن تيمية لم تُنشر حتى أوائل القرن العشرين إلى منتصفه تُظهر أنها لم تكن متداولة على نطاق واسع ولم تكن جزءًا من مناهج المدارس الدينية، بل كان لا بد من «إعادة اكتشافها» على يد الشطّي والجزائري، ومن ثم إعادة إدخالها في الذاكرة الإسلامية للتفسير وعلومه المختلفة.

وفوق ذلك؛ يُثني الشطّي على ابن تيمية في مقدّمته لعلمه الغزير وتبحُّره في أدبيات التفسير وغيره من العلوم الإسلامية الأخرى. وقد انجذب المصلحون مثل الشطّي والجزائري إلى سعة اطّلاع ابن تيمية واهتمامه بمجموعة واسعة من الموضوعات، وهو ما حاولوا محاكاته في أبحاثهم وتدريسهم. ويوضح الشمسي أنّ المصلحين «رأوا في كتابات [ابن تيمية] نماذج للمشاركة النقدية والتحليل، لكنهم سخّروا أيضًا محتوى أعماله في خدمة برامجهم الإصلاحية»[٣]. وكما يُتابع قائلًا، استخدم المصلحون كتابات ابن تيمية لتحدي

(١) وليد صالح، تفسير البيضاوي: (تاريخ أنوار التنزيل)، ترجمة: مصطفى هندي، مركز تفسير، ص٩٧.
(٢) وليد صالح، تفسير البيضاوي: (تاريخ أنوار التنزيل)، ترجمة: مصطفى هندي، مركز تفسير، ص٩٥.
(٣) أحمد الشمسي، إعادة اكتشاف التراث الإسلامي، ص٢٦٠.

«النظرة المسرفة لصحيح الدِّين كما جسّدتها المدرسية الضيقة -من منظور الإصلاحيين- حيث قيدت هذه المدرسية نطاق الأدبيات -ومن ثم الحجج المقبولة- تضييقًا شديدًا»[(١)]. ومن خلال نشر المقدمة، كان المصلحون أمثال الشطّي والجزائري يسعون إلى توسيع أفق طرائق تفسير القرآن بما يتجاوز ما هو موجود في مناهج المدارس التقليدية. فبدلًا من أن يكونوا مجرّد مستهلكين و«خاضعين للتراث»، كان الشطّي والجزائري «صُنّاعه النشطين»، معتبرين أن التراث شيء يمكن تشكيله[(٢)]. وبعد الثناء على ابن تيمية، ينتقل الشطّي إلى الإعجاب بالرسالة نفسها باعتبارها فريدة من نوعها، وتميّز بين التفاسير المختلفة، وتبيّن «الغثّ من السمين، والخطأ من الصواب»[(٣)]. وبالنسبة

(١) أحمد الشمسي، إعادة اكتشاف التراث الإسلامي، ص٣٢٤. يواصل الشمسي شرحه قائلًا إنْ «كان الدافع لاكتشاف النصوص المهمّشة وإحيائها مريبًا بطبيعته فإذا كان هناك متن قد خرج من المنهج، فمن المحتمل أن يكون ذلك قد حدث لسبب وجيه؛ فربما كان هذا المتن دون المستوى مثلًا، أو ضلّ مؤلّفه سواء السبيل. وحتى لو لم يكن كذلك، فإنّ حقيقة أنه لم يعد متعلّقًا بتقليد تفسيري حيّ على هيئة شروح مفصّلة لمحتواه كانت تعني أن المتن -من حيث الشكل أو المحتوى- كان مدعاة للريبة. وكان العلماء الإصلاحيون -الذين جدّوا في السعي إلى توسيع نطاق المناهج- ينكرون ضمنيًّا شمولية هذا التقليد، ويحاولون إعادة إدخال الأفكار التي تجوهِلَت بالفعل». (أحمد الشمسي، إعادة اكتشاف التراث الإسلامي، ص٢٨٩).

(٢) كما يوضح الشمسي: «فحولوا التراث من سلطة لا جدال بشأنها إلى شيء يمكن التفاوض بشأنه وتشكيله من خلال تحدّي بداهة هيمنة التراث الحديث. كما حوّلوا أنفسهم من خاضعين للتراث إلى صُنّاعه النشطين». (أحمد الشمسي، إعادة اكتشاف التراث الإسلامي، ص٣٨٤).

(٣) هذه العبارة مأخوذة من الصفحة الافتتاحية للمقدمة نفسها. ابن تيمية، المقدمة، تحقيق: زرزور، ص٢٤.

للطالب، بل وحتى العالم، فإنّ أدبيات التفسير مترامية الأطراف، وضخامتها تصيب المرء بالرهبة وتقعد به عن التحصيل. وعليه، كانت رسالة ابن تيمية دليلًا مفيدًا لأولئك الذين يسعون للتمييز بين المدارس الفكرية المختلفة، ومعرفة أيها أقرب إلى منهج السلف الصالح.

ثم خرجت بعد ذلك الطبعة التي حقّقها محبّ الدين الخطيب (ت: ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م) وطُبعت في المطبعة السلفية بمصر[١]. في مقدّمته، يصرّح الخطيب في الجُمْلة الأولى أن الرسالة «نفيسة»، مردّدًا بذلك وصف السيوطي لكلام ابن تيمية، ومؤكّدًا على تفرّدها في تاريخ التفسير. ويعترف بسبق عمل الشطّي -الذي اعتبره صديقًا- وبفضل الناشر (دار الآثار الوطنية). وقد أضحى «الجزائري بمنزلة الأب لمحبّ الدين الخطيب» بعد وفاة والده، وحمله الجزائري على نُسخ العديد من مخطوطات كتب ابن تيمية المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق[٢]. ويوضح الخطيب أنه يبني على عمل الشطّي ويكمّله من خلال تصحيح أيّ أخطاء وُجدت في الطبعة الأسبق، مع التعريف بالأعلام، وإضافة تراجم موجزة لهم في الحواشي. يبرز الميل (السلفي) للخطيب في أنه نشر تحقيقه مع مطبعة سلفية، ويتّضح أنه أراد تسليط الضوء على شخصيات من التابعين وتلاميذهم «لزيادة الارتباط بصدر الإسلام»[٣].

(١) ابن تيمية، المقدمة، تحقيق: محبّ الدين الخطيب.

(٢) أحمد الشمسي، إعادة اكتشاف التراث الإسلامي، ص٢٨٤.

(٣) ابن تيمية، المقدمة، تحقيق: الخطيب، ص٣.

وقرب نهاية التحقيق، يصبح اهتمام الخطيب بالتفسير المستند إلى الأثر جليًّا حيث يقارن اقتباسات ابن تيمية من الطبري مع تفسير الطبري نفسه، ويُجري التعديلات ذات الصِّلَة على النصّ الأساسي[١]. ونلاحظ أنه من بين جميع اقتباسات ابن تيمية والتفاسير المختلفة التي نقل عنها، نجد الخطيب يبحث فقط عن تلك الخاصّة بالطبري، مُظْهِرًا بذلك الأهمية المتزايدة للتفسير المستند إلى الأثر. وقد ذيّل الخطيب نشرته بملحق من فتاوى ابن تيمية التي سُئِل فيها عن تقييمه للتفاسير المختلفة، وتأويله لمختلف القراءات. تردّد هذه الإضافة صدى الطريقة التي غالبًا ما جمع بها المحقّقون والنسَّاخ المقدّمة مع فتاوى أخرى ذات صِلَة، وهو ما رأيناه سابقًا مع وصف ابن رشيق لأعمال ابن تيمية. علاوة على ذلك، فإنّ اختيار النشر مع مطبعة مصرية أمرٌ مهم لأنّ البلاد كانت في ذلك الوقت مركزًا للنشر والطباعة، وهو ما يُظهر أيضًا أن معظم الطباعة المبكّرة لأعمال ابن تيمية حدثت خارج الخليج العربي. والأهمّ من ذلك، أن الخطيب يواصل استخدام عنوان الشطّي «مقدمة في أصول التفسير» على الرغم من أنّ الاقتباسات والمخطوطات المختلفة من الحقبة ما قبل الحديثة لا تذكر هذا الاسم، كما بيّناه سابقًا.

الطبعة التالية والأهمّ كانت تلك التي حقّقها عدنان زرزور في ١٣٩١هـ = ١٩٧١م، عندما أعاد نشر العمل بعد إعادة النظر في المخطوطات، وأضاف

(١) ابن تيمية، المقدمة، تحقيق: الخطيب، ص٥٢.

تعليقات مسهبة على الرسالة[١]. ستصبح طبعة زرزور فيما بعد هي الأكثر موثوقية، نظرًا لتجليدها الفاخر، وطباعتها على ورق عالي الجودة، وبخطّ طباعي حديث. بنى زرزور على عمل الخطيب بإضافة الكثير إلى الحواشي وكتابة مقدّمة مطوّلة تحدّث فيها عن المخطوطات المختلفة للمقدّمة، وخبرة ابن تيمية في التفسير، ثم شرح محتوى فصول الرسالة[٢]، وقِيمتها التراثية. ثم في مقدّمة الطبعة الثانية من التحقيق، يذكر زرزور أنّ دار القرآن الكريم أرادت إعادة نشر العمل مع «التحقيق والشرح»[٣]. فكرةُ الشرح جديدةٌ هنا، إِذْ كانت غائبة في الطبعتين السابقتين اللتين ركز فيهما الشطّي والخطيب على إنتاج نسخة دقيقة ومحقّقة من النصّ من خلال المخطوطات المختلفة. أمّا زرزور، فمع نظره في المخطوطات، نجد أنه قدَّم أيضًا شرحًا مفصلًا جعل النصّ سهل الاستيعاب والفهم للقارئ الحديث. والكثير من حواشي زرزور هي شرحٌ لغريب الألفاظ،

(١) يلاحظ وليد صالح أهمية طبعة زرزور في مقاله (ابن تيمية وصعود التأويل الراديكالي). كما يقدم زرزور تاريخًا لنشر الرسالة في طبعته الأولى، وهو ما لا يظهر في الطبعة الثانية. حيث يذكر في الطبعة الأولى أن هناك طبعة أخرى للنصّ نُشرت في لاهور، باكستان في ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨ - ١٩٦٩م. وإن إغفال هذه المعلومة في الطبعة الثانية أسهم في نسيان الطبعات الأخرى، وعزّز فكرة أن طبعة زرزور أضحت هي المعتمدة والمعيارية. (ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: زرزور، ص٢٣).

(٢) يبني وليد صالح على الأرجح على هذه المقدّمة، خاصة ملخصات الفصول والقيمة التراثية للرسالة في مقاله: (ابن تيمية وصعود التأويل الراديكالي).

(٣) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: زرزور، ص٥.

والعزو إلى التفاسير والكتب ذات الصِّلَة، وتخريج الأحاديث والآيات القرآنية. ويتضح من النظر العام في حواشي زرزور أنه لم يكن مجرّد تابع لابن تيمية، بل كان يُناقشه ويختلف معه أحيانًا. فعلى سبيل المثال: اعترض زرزور على وصف ابن تيمية للثعلبي (ت: ٤٢٧هـ = ١٠٣٥م) بأنه كان «حاطب ليل» بمعنى أنه كان يجمع أيّ حديث يجده دون تقييم نقدي[١]، مشيرًا إلى أنّ رأي ابن تيمية هذا في الثعلبي فيه نظر، وأنّ قرار المفسِّر بعدم ذِكْر سلاسل الإسناد الكاملة لا يمنع القارئ من البحث عن الأحاديث بنفسه[٢].

وعلى الرغم من تحفّظاته فيما يتعلّق بالعنوان (كما نوقش سابقًا)، يواصل زرزور استخدام «مقدمة في أصول التفسير»، ذلك أنه بحلول زمن زرزور، كان قد مضى بالفعل ٣٥ عامًا منذ النشرة الأولى، وكان العمل قد انتشر ثم أُعيد نشره باسم المقدّمة. ساعدت كلمة «مقدّمة» في نشر العمل على نطاق واسع، حيث أوعزت إلى المدرسين والطلاب أنّ العمل هو دليلٌ كلاسيكي إلى التراث التفسيري الضخم. علاوة على ذلك، فإنّ استخدام كلمة «أصول» بدلًا من «قواعد» في العنوان لهو أمر ذو دلالة؛ لأنّ الأُولَى تُستخدم بصورة أكبر في الفقه الإسلامي، كما هو الحال في (أصول الفقه)، بينما الثانية تُستخدم أيضًا في الفقه

(١) للمزيد حول الثعلبي، انظر: Saleh, The Formation of the Classical Tafsīr Tradition.

(٢) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: زرزور، ص٧٧. وأيضًا، للمزيد حول الثعلبي والأسانيد، انظر: Saleh, The Formation of the Classical Tafsīr Tradition, pp. 82–83.

ولكن بصورة أقلّ وفقط عند مناقشة القواعد الفقهية[١]. وإنّ وضع كلمة «أصول» في العنوان ساعد في الترويج للعمل، مما جعله أكثر جاذبية للعلماء والطلاب الذين كانوا يبحثون عن مرجع تأصيلي في التفسير يكمّل أعمال أصول الفقه التي كانوا يدرسونها بالفعل. وكما يشير وليد صالح، فإن عنوان: (مقدمة في أصول التفسير)، «مبني على مشاكلة ظاهرة توازي رسائل الأصول في الفقه»[٢].

يُظهر اختيار زرزور اعتماد النشر بهذا العنوان المحدّد قوّة المحقّقين الأوائل مثل الشطّي، وثقل التقليد، وسبق النشر والطباعة. فعلى الرغم من تعبيره عن عدد من الشكوك تجاه هذا الاسم، إلا أنّ عنوان «مقدمة في أصول التفسير» كان قد اكتسب زخمًا بالفعل حتى كان من الصعب تسمية الرسالة باسم آخر. وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن زرزور كان سوريًّا ومدرّسًا في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وبتحقيقه للرسالة، فهو يواصل الاهتمام السوري بها، الذي بدأ مع الشطّي، إلى النصف الثاني من القرن العشرين. ولا شك أن منصبه التدريسي أثّر على رغبته في إخراج نصّ يمكن تدريسه في كليات الدراسات الإسلامية الناشئة التي كانت جزءًا من نظام الجامعات العربية الحديثة. ومع

(١) ربما فضّل الشطي كلمة «أصول»؛ لأنه كان مفتيًا وعالمًا في الفقه.

(٢) وليد صالح، ابن تيمية وصعود الهرمنيوطيقا الراديكالية، ص١٧٩.

ذلك، فإنّ دار النشر التي طلبتْ تحقيق وطباعة الرسالة، دار القرآن الكريم، كان مقرّها في الكويت، وهو ما يُمثّل انتقال نشر وطباعة أعمال ابن تيمية إلى الخليج العربي، بينما كانت تُنتج سابقًا في دمشق ومصر[١].

ستصبح طبعة زرزور هي الطبعة المعتمدة والأكثر موثوقية[٢]، ولكنّها مَدِينة بشكلٍ كبيرٍ للطبعتين السابقتين اللتَيْن أخرجتَا الرسالة إلى النور وبدأتَا عملية كتابة الشروح والتعليقات عليها؛ فالشطّي هو من اكتشف الرسالة وسمّاها، أمّا الخطيب فهو من أعاد نشرها وبدأ كتابة التعليقات عليها في حواشيه. وعلى الرغم من أنّ طبعتي الشطّي والخطيب قد نُسيتَا إلى حدٍّ كبيرٍ الآن، إلا أنهما مهّدتَا الطريق لطبعة زرزور، وفي نهاية المطاف؛ فتحتَا الباب لأنْ تصبح نظرة ابن تيمية إلى القرآن وأدبيات التفسير معيارية بشكلٍ متزايدٍ[٣]. وكما توضح يوهانا بينك في كتابها (التفسير القرآني الإسلامي اليوم)، فإنّ تصور ابن تيمية للتراث التفسيري ونظرته لمناهج التفسير «لم تكتسب ذلك الزخم الكبير والأَتْبَاع الكُثُر إلا في النصف الثاني من القرن العشرين»[٤].

---

(١) إضافة إلى هذه النقطة، نُشرت أحدث طبعة لجاد الله في الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٢) طبعة جاد الله قد تتفوّق على طبعة زرزور في النهاية لكن ذلك لم يُرَ بعد.

(٣) المنشورات المستقبلية للرسالة ستتبع أيضًا عنوان (مقدّمة في أصول التفسير) دون أيّ تفكير أو تحليل نقدي. فمثلًا: (مجموع الفتاوى) الشهير الذي نشر لاحقًا أَطلق على الرسالة اسم المقدّمة مع أن المخطوطة الأصلية لا يبدو أنها تحمل ذلك الاسم. (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (١٣/ ٣٢٩- ٣٧٥).

(٤) Pink, Muslim Qur'ānic Interpretation Today, p. 180 . بينك تتحدّث هنا تحديدًا عن رأي ابن تيمية أنّ القرآن يجب أن يُبحث عن تفسيره أوّلًا في القرآن نفسه.

الخاتمة:

في الختام، لا يمكننا فهم (مقدمة في أصول التفسير) إلا من منظور محقِّقيها الثلاثة: الشطي، والخطيب، وزرزور؛ فهؤلاء العلماء الثلاثة أخرجوا عملًا كان منسيًّا إلى النور، وفي هذه العملية صنعوا تصوّرًا راسخًا حول أهمية هذه الرسالة وقيمتها، وهو أمر لا يمكن قوله عن جمهرة النصوص التفسيرية وغيرها من النصوص التي لا تزال حبيسة شكلها المخطوط. وكما رأينا؛ فإنّ ترجمات ابن تيمية وفهارس مؤلَّفاته إمّا أنها تغفل ذِكْر الرسالة تمامًا أو تصفُ محتواها وصفًا عامًّا. كما لم يكن للرسالة عنوان ثابت، واقتباسات العلماء منها ونُقولهم عنها في العصور الوسطى كانت ناقصة، ولا تشير إلّا إلى جزء من الرسالة، وأحيانًا كان النقل دون ذِكْر اسم ابن تيمية أصلًا. في المجمل، تشير هذه الإشارات مجتمعة إلى أنّ أجزاء الرسالة المختلفة كانت تُتَدَاول بشكلٍ مستقلّ بعضها عن بعض، وأنّ الفصول المتنوّعة، وخاصة الفصل الخامس (أوجز تعبير عن التفسير)، كانت تُنقل منفردة. تشهد المخطوطات كذلك على أنّ العمل لم يُنسخ كعمل مستقلّ قائم بذاته، بل كجزء من مجموعة نصوص أكبر. ولم تبقَ سوى قلّة من المخطوطات للرسالة، وبعض النسّاخ لا يذكرون حتى هوية مؤلِّف العمل. وبالنظر إلى الاستشهادات والمخطوطات المختلفة، يبدو للوهلة الأولى أنّ الرسالة كان لها تأثير ما في العصر المملوكي (١٢٥٠– ١٥١٧)، لكنها فقدتْ حظوتها في الحقبة العثمانية (١٥١٧– ١٩٢٢)[١].

(١) بيد أنّ هناك حاجة لمزيد من العمل لتتبع تأثير ابن تيمية في الفترة العثمانية. وللمزيد حول تلقّي ابن تيمية، انظر العدد الخاص من "Muslim World" الذي حرّرته كاترينا بوري: Caterina Bori، Ibn Taymiyya: Receptions (14th–17th Century).

كان الشطِّي -بمساعدة الكتبي والمجدّد طاهر الجزائري- هو من أعاد اكتشاف مخطوطة الرسالة وحقّقها ووجد دار النشر المناسبة لطباعتها ونشرها. وإن قرارهما بتسمية الرسالة «مقدمة في أصول التفسير» ونشرها كرسالة مستقلّة أعطاها مكانة لم تكن تحظَى بها في العصر السابق للحداثة. إِذْ كان من الممكن أن تظل المقدّمة مجرّد فصل من مجموعة كتابات ابن تيمية، مثل (مجموع الفتاوى) الشهير، ولا تُعامل أبدًا كعمل مستقلّ. غير أن الشطِّي لاحَظ كيف كان العمل فريدًا في فهمه للتفسير والقرآن.

أُعيد نَشْر الرسالة لاحقًا على يد الخطيب، قرين الشطِّي والذي كان الجزائري «في منزلة الأب» بالنسبة له. وأضاف للنصّ الكثير من الحواشي، وجمع الرسالة مع أعمال أخرى لابن تيمية متعلّقة بالقرآن، وحافظ على اسم «المقدمة». أسهب زرزور بصورة أكبر في التعليق على النصّ وتحقيقه، جاعلًا إياه أسهل في الاستخدام وأكثر قابلية للتكيّف مع مناهج الجامعات والمعاهد الدينية. وفي النهاية، استفاد العلماء الغربيّون من الرسالة، حتى إنهم ترجموا أجزاء منها، وجعلوها مرتكزًا رئيسًا في فهمهم للقرآن والتفسير وللتراث الفكري لابن تيمية. ومن الواضح أنّنا لا نستطيع فهم استقبال «مقدمة» ابن تيمية والبارادِيغم القرآني الحديث الذي أنتجته دون اعتبار الدور الحاسم لمحقّقيها، من الشطِّي إلى زرزور؛ فقد ساعدوا في تشكيل وإخراج الرسالة كما نعرفها اليوم، ونشروا المنهج التأويلي للقرآن الذي تبنّته.

المراجع:

- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: محمد جميل الشطي (دمشق: مطبعة الترقي، ١٩٣٦).
- ابن رجب الحنبلي، آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال، تحقيق: محمد عزير شمس وعليّ بن محمد العمران (مكة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢).
- ابن رشيق، أسماء مؤلفات ابن تيمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد (دمشق: مطبوعات المجمع العلمي العربي، ١٩٥٣).
- ابن عبد الهادي، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: طلعت بن فؤاد الحلواني (القاهرة: الفاروق الحديثة، ٢٠٠٢).
- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق: ناصر بن سليمان السعوي (٦ مجلدات، الرياض: دار الصميعي، ١٤٣٢هـ= ٢٠١١).
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: حكمت بشير ياسين (٧ مجلدات، الدمام: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ٢٠١٥/ ٢٠١٦).
- أبو زهرة، محمد، ابن تيمية: حياته وعصره، آراؤه وفقهه (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٠).

- أحمد الشمسي، إعادة اكتشاف التراث الإسلامي، مركز نهوض، ٢٠٢٢م، ترجمة: عبد الغني الميموني- أحمد العدوي.
- بركة، إبراهيم، ابن تيمية وجهوده في التفسير (بيروت: المكتبة الإسلامية، ١٩٨٤).
- التأويل عند ابن تيمية في سياقه التاريخي، (بحث غير منشور).
- الجزائري، طاهر بن صالح، تذكرة طاهر الجزائري، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف (مجلدان، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٢).
- الخيامي، صلاح محمد، فهرس المخطوطات دار الكتب الظاهرية: علوم القرآن (مجلدان، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٣/ ١٩٨٤).
- الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون (٣ مجلدات، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٣).
- الزبيدي، مرتضى، إتحاف السادة المتقين (١٠ مجلدات، القاهرة: المطبعة الميمنية، ١٣١١هـ = [١٨٩٣ أو ١٨٩٤]).
- زرزور، عدنان، علوم القرآن: مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨١).

- الزركشي، محمد بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (٤ مجلدات، القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٩٨٤).
- السيوطي، الإمام جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨).
- الشهرزوري، ابن الصلاح، مقدمة في علم الحديث (كتاب معرفة أنواع علم الحديث)، ترجمة إيريك ديكنسون (Reading: Garnet 2005).
- العقيدة الواسطية (الرياض: دار السلام، ٢٠٠٩).
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن: مخطوطات التفسير (١٢ مجلدًا، عمان: مؤسسة آل البيت، ١٩٨٧).
- قاعدة في التفسير، مخطوطة رقم ٢٩٩، المكتبة التيمورية، دار الكتب المصرية.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد (الرياض: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٩٦٤).
- مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: سامي بن محمد بن جاد الله (الرياض: دار الحديث، ٢٠٢٢).

- مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: عدنان زرزور (الكويت: دار القرآن الكريم، ١٩٧٢).
- المقدمة، تحقيق: محبّ الدين الخطيب (القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٩٦٥/ ١٩٦٦).
- وليد صالح، ابن تيمية وظهور الهرمنيوطيقا الراديكالية: دراسة تحليلية لمقدمة التفسير، مقالة ضمن كتاب: ابن تيمية وعصره، ط. الشبكة العربية، ترجمة: محمد بو عبد الله، ٢٠١٨م.
- وليد صالح، تفسير البيضاوي: تاريخ (أنوار التنزيل)، ترجمة: مصطفى هندي، مركز تفسير.
- وليد صالح، مجلة التفاهم، عدد ٦٩، صيف ٢٠٢٠، بعنوان: (مداخلات أوليّة حول الكتابات المؤرخة للتفسير باللغة العربيّة: مقاربة مبنية على علم تاريخ الكتاب»، ترجمة: يوسف مدراري .
- 'Ibn Taymiyya as Exegete: Moses' Father- in- Law and the Messengers in Sūrat Yā Sīn', Journal of Qur'anic Studies 19:1 (2017), pp. 1–34.
- (ed.), 'Ibn Taymiyya: Receptions (14th–17th Century)', special issue of The Muslim World 108:1 (2018).
- Bori, Caterina, 'A New Source for the Biography of Ibn Taymiyya,' Bulletin of the School of Oriental and African Studies 67:3 (2004), pp. 321–348.
- Dayeh, Islam, 'Reading Ibn Taymiyya in Granada: A Study of Inexplicit Citation', The Muslim World 108 (2018), pp. 154–171.

- Haykel, Bernard, 'On the Nature of Salafi Thought and Action', in Roel Meijer (ed.), Global Salafism: Islam's New Religious Movement (New York: Columbia University Press, 2009), pp. 34–57.
- Hirschler, Konrad, A Monument to Medieval Syrian Book Culture: The Library of Ibn 'Abd al- Hādī (Oxford: Oxford University Press, 2020).
- Hoover, Jon, Ibn Taymiyya's Theodicy of Perpetual Optimism (Leiden–Boston: Brill, 2007).
- Ibn Taymiyya (London: Oneworld Academic, 2019).
- 'Ibn Taymiyya', in George Tamer (ed.), Handbook of Qur'anic Hermeneutics (forthcoming).
- 'Istanbul, Süleymaniye Kütüphanesi MS Sehid Ali Pasa 1553: A Neglected Version of Ibn Taymīya's al- Siyāsa al-Sharʿīya and Its Manuscript', in Stephan Conermann and Bethany J. Walker (eds), History and Society During the Mamluk Period (1250–1517) (Bonn: Bonn University Press, 2021), pp. 9–60.
- Lauzière, Henri, The Making of Salafism: Islamic Reform in the Twentieth Century (New York: Columbia University Press, 2016).
- Leaman, Oliver, 'Tafsīr- Salafi Views', in Oliver Leaman (ed.), Encyclopedia of the Qur'an (New York: Routledge / Ipswich: Ebsco Publishing, 2005).
- McAuliffe, Jane Dammen, The Norton Anthology of World Religions: Islam (New York: W.W. Norton & Company Inc., 2015).
- Mir, Mustansir, art. 'Tafsīr', in John L. Esposito (ed.), The Oxford Encyclopedia of the Islamic World (New York: Oxford University Press, 2021), https:/ / www. oxfordreference.com/ display/ 10.1093/ acref/ 9780195305135.001.0001/ acref9780195305135- e- 0775.

- Mirza, Younus Y., 'Ibn Kathīr (d. 774/ 1373): His Intellectual Circle, Major Works and Qur'ānic Exegesis' (PhD dissertation, Georgetown University, 2012).
- Pink, Johanna, Muslim Qur'ānic Interpretation Today: Media, Genealogies and Interpretive Communities (Sheffield, UK–Bristol, CT: Equinox Publishing Ltd, 2019).
- Rapoport, Yossef, and Shahab Ahmed (eds), Ibn Taymiyya and His Times (Karachi: Oxford University Press, 2010).
- Reichmuth, Stefan, The World of Murtada al- Zabidi (1732–1791): Life, Networks and Writings (Cambridge: Gibb Memorial Trust, 2009).
- Rippin, Andrew, art. 'al- Zarkashī', Encyclopaedia of Islam, 2nd edn.
- Saleh, Walid, The Formation of the Classical Tafsīr Tradition: The Qurʾān Commentary of al- Thaʿlabī (d. 427/ 1035) (Boston: Brill, 2004).
- Suleiman, Farid, 'Ibn Taymīyas Theorie der Koranexegese', in Abbas Poya (ed.), Koranexegese als »Mix and Match«: Zur Diversität aktueller Diskurse in der tafsīr- Wissenschaft (Bielfeld: transcript Verlag, 2017), pp. 15–44.
- 'Tafsir', in The Oxford Dictionary of Islam, ed. John Esposito (New York: Oxford University Press, 2021), https://www.oxfordreference.com/display/10.1093/acref/9780195125580.001.0001/acref- 9780195125580- e- 2298.
- 'The Collection and Edition of Ibn Taymiyah's Works: Concerns of a Disciple', Mamluk Studies Review 13:2 (2009), pp. 47–67.
- The Perfect Guide to the Sciences of the Qur'an: Al- Itqān fī ʿUlūm al- Qurʾān, tr. Hamid Algar, Michael Schub, and Ayman Abdel Haleem (Reading: Garnet Publishing Ltd, 2011).
- 'Treatise on the Principles of Tafsīr', in Jane McAuliffe (tr.), Windows on the House of Islam: Muslim Sources on

Spirituality and Religious Life (Berkeley: University of California Press, 1998), pp. 35–42.

- Ullah, Kifayat, al- Zamakhsharī's Al- Kashshāf: Al-Zamakhsharī's Mu'tazilite Exegesis of the Qur'an (Berlin–Boston: De Gruyter, 2017).
- Weismann, Itzchak, Taste of Modernity: Sufism, Salafiyya, and Arabism in Late Ottoman Damascus (Leiden–Boston: Brill, 2001).